Dirasat, Human and Social Sciences, Volume 49, No. 6, 2022

Deanship of Scientific Research

The Story "Bedouins of Jewish Origin" by Rachel Yanait Ben-Zvi: A Content Analysis with a Translation of the Story into Arabic

Mahmoud Amarat*

Faculty of Arts, Yarmouk University, Jordan.

Received: 12/4/2021
Revised: 27/6/2021
Accepted: 23/8/2021
Published: 30/11/2022

* *Corresponding author:* mamarat@yu.edu.jo

Citation: Amarat, M. . (2022). The Story "Bedouins of Jewish Origin" by Rachel Yanait Ben-Zvi: A Content Analysis with a Translation of the Story into Arabic. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *49*(6), 26–42. https://doi.org/10.35516/hum.v49i6.3688

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

After its occupation of Arab territory, the Zionist movement sought to destroy every Arab aspect. It has also attempted to erase, falsify and rewrite history in a manner consistent with its aspirations and goals in addition to obliterating the Palestinian and Arab identity. This movement has recruited Hebrew Literature to serve its Zionist purposes and to achieve its goals. This study came to highlight one of these Zionist theses, which claims that the origins of majority of Palestinian peasants and some tribes in eastern Jordan belong to a Jewish origin, and that they were forced to convert to Islam. The Israeli writer Rachel Yinnait Ben-Zvi has adopted this proposition in many of her writings, including her story "Bedouins of Jewish Origin". In its first part, the present study addresses the Zionist claims about the origin of the Palestinian farmers as well as the Bedul and Liathneh tribes. As for the second part, it is devoted to the study of Rachel Yannait's biography, the content of her story, as well as its translation into Arabic. The researcher concluded his study with a presentation of the most important results of the study.

Keywords: Hebrew Literature; Rachel Yannait; Bedouins; Petra; Wadi Mousa.

قِصَة "بدو مِن أصل يهوديّ" لـ"راحيل ينائيت بن تسفي": دِراسة في المضمون مع ترجمة القِصّة إلى العربيّة

محمود العمرات

كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.

ملخّص

سعت الحركة الصّهيونيّة، بعد احتلالها للأرض العربية، إلى تدمير كل ما هو عربيّ، كما سعت إلى محاوَلة طَمْس التّاريخ وتزويره وإعادة كتابته بما يتلاءم مع تطلّعاتها وأهدافها، وكذلك طمْس الهويّة الفلسطينيّة والعربيّة، وقد جنّدَت هذه الحركة الأدب العبريّ لخدمة أطروحاتها وأغراضها الصّهيونيّة الاستعماريّة، جاءت هذه الدّراسة لتسليط الضّوء على واحدةٍ مِن هذه الأطروحات الصّهيونيّة التي تدَّعي أنّ أصول غالبيّة الفلاّحين الفلسطينيّين وبعض قبائل شرْق الأردن تعود إلى أصول يهوديّة، وأنّهم أُجبروا على اعتناق الإسلام، وتُعَدّ الكاتبة الإسرائيليّة "راحيل ينائيت بن تسفي" واحدة مَن أولئك الذين تبنّوا هذا الطّرح في كثير مِن كتاباتها ومنها قِصّتها "بدو مَن أصل يهوديّ"، تناولَت هذه الدّراسة في جُزئها الأوّل الادّعاءات الصّهيونيّة حوْل أصول الفلاّحين الفلسطينيّين وعشائر البدول واللّياثنة؛ أمّا الجزء الثاني فقد خُصِّص لدراسة السّيرة الذاتيّة للكاتبة "راحيل ينائيت بن تسفي"، ودراسة مضمون القِصّة موضوع الدّراسة، فضلًا عن ترجمَتها إلى العربيّة، وقد ذيّل الباحث دِراسته بخاتمة اشتملَت على أهمّ النتائج التي توصَّلَت إليها.

الكلمات الدالة: الأدب العبريّ، راحيل ينائيت، بن تسفي، بدو، البترا، وادي موسى.

المقدمة:

منذ نشأتها، وَضعَت الحركة الصّهيونيّة لنفسها هدفًا واضحًا: إقامة وطَن قوميّ لليهود على أرض فلسطين العربيّة، وبَذلَت جهودًا كبيرةً بُغية الوصول إلى هذا الهدف مِن خلال ادّعاءات الحقّ التاريخيّ والدّينيّ. وقد تنوَّعَت الأساليب التي سعت مِن خلالها هذه الحركة إلى الاستيلاء على الأرض العربيّة وذلك مِن خلال تدمير التُّراث العربيّ وإفراغ المدن والقرى العربيّة مِن سكّانها عبْر كل الطُّرق والأساليب الاستعماريّة الوحشيّة. كما سعت إلى طَمْس التّاريخ وإعادة كتابته بما يتلاءم مع تطلّعاتها وأهدافها، وكذلك طَمْس الهويّة الفلسطينيّة والعربيّة. ومِن أهمّ المزاعم التضليليّة التي استخدمَتها الصّهيونيّة مِن أجل الاستيلاء على فلسطين، التي ركّز عليها الأدب العبريّ على نحو واضح، مِن خلال مقولتين: الأولى إنّ فلسطين أرض خالية بلا شَعب، عاجّة بالقفار والمستنقَعات، وإنّ هجرة اليهود إليها لن تَكُون، وَفقًا لما زَعَمه قادتها، سوى "هجرة شَعب بلا أرض إلى أرض بلا شَعب". أمّا المقولة الثانية فهي تختصّ بما يُسمّى في الأدبيّات الصّهيونيّة الاضطهاد الأزليّ لليهود. وقد شَكَّلت المقولتان الميدان الذي انعكسَت فوقه صُور التّزوير على نحو واسع. (يوسف، 2000: 11) وقد وَقَع جزءٌ كبيرٌ مِن هذه الجهود الصّهيونيّة على عاتق الأدب العبريّ الذي كُتِب في فلسطين بعد انتقال مَركزه مِن أوروبا إليها، وتَمثَّل ذلك جَليًّا مِن خلال تجنيد هذا الأدب لخدمة الحركة الصّهيونيّة وجهودها المتواصلة في محْو كلّ ما هو عربيّ وإسلاميّ واستبداله بروايات صهيونيّة لا مكان لها مِن الصّحة.

ارتبَط الاستيطان اليهوديّ الجديد "הישוב החדש" في فلسطين بالتّجربة الصّهيونيّة والهجرة اليهوديّة إلى فلسطين منذ عام 1881م. وكان هذا الاستيطان، كما أشارت الباحثة المصريّة نجلاء سالم، ذا طبيعة سياسيّة استعماريّة بحتة، ترمي إلى السّيطرة على أرض فلسطين، وطَرْد شَعبها وإقامة دولة لليهود عليها، ومِن ثَمّ فقد كانت علاقة المستوطِنين الجُدد بالعرب علاقةً تسودها الرّوح العدوانيّة. وقد شكّلَت الهجرة العمود الفقريّ لعمليّة الاستيطان. وأخذَت هذه الهجرة إلى فلسطين شَكْل موجات متعاقبة، وقد تفاوتَت أعداد كلّ موجةٍ منها تبعًا للظّروف الدّوليّة بصفةٍ عامة، ولظروف اليهود بصفةٍ خاصّة. (سالم، 2002: 5) ولا بُدّ مِن الإشارة إلى أنّ ما يُحدِّد طابع كلّ موجة مِن الهجرة وإنجازاتها هو نوْع المهاجرين الذين وَصَلوا فيها وقدرتهم على التأقلم في فلسطين. (وهب الله، 1982: 17) وقد جَلبَت موجة الهجرة الثّانية إلى فسطين التي امتدت بين عامي 1904م – 1914م، ما يقارب 35 – 40 ألف مهاجر. ووفقًا لوهب الله (1982)، فقد أدّى أبناء هذه الهجرة دَورٍ "مِن الدّرجة الأولى في الزّعامات المختلفة، خصوصًا الزّعامة السّياسيّة طوال فترة الاستيطان، وحتى المراحل الأولى لدولة إسرائيل بعْد قيامها، وهو دَوْر يتعدّى أي تناسُب مع عَددَهم النسبيّ أو الكلّيّ." (ص 30) ومع هذه الهجرة بَدأ الأدب العبريّ الحديث يثبّت أقدامه في فلسطين، حيث انتقَل المركز الأدبيّ مِن الخارج إلى فلسطين، وبَدأ يتعرّض لموضوع الاستيطان ومشاكله على نحو أقوى مِن موجة الهجرة الأولى. (سالم، 2002: 38) ومِن الأدباء والمفكّرين الذين بَرَزوا خلال موجة الهجرة الثانية الأديبة والمفكّرة الصّهيونيّة "راحيل ينائيت بن تسفي – רחל ינאית בן-צבי"، وهي واحدة مِن الشّخصيّات المُهمّة في تاريخ الاستيطان اليهوديّ في فلسطين وخلال السّنوات الأولى التي تلت تأسيس ما يُسمّى بـ"دولة إسرائيل"، حيث تَبنّت الفِكر الصّهيونيّ بقوّة، ولَم تألُ جهدًا في تزييف الواقع والحقائق التّاريخيّة بُغية تأصيل الوجود اليهوديّ في فلسطين وتركيز دعائم الاستيطان اليهوديّ فيها.

ومنذ ظهور الصّهيونيّة، وبَعْد نجاحها في إحداث الهجرات المتعاقبة باتّجاه فلسطين تمهيدًا لطرد سكّانها الأصليّين والاستيلاء على أرضهم بشتّى الوسائل، ظهَر العديد مِن الباحثين والمؤرّخين اليهود الذين حاوَلوا تشويه صورة التّاريخ العربيّ والإسلاميّ في فلسطين، وتزييف الحقائق التّاريخيّة بما يَخدم مَصلحتهم. ومِن ضِمن جهودهم في هذا المجال ادّعاؤهم بأنّ العديد مِن القرى الفلسطينيّة كانت تُشكِّل موطنًا لليهود، بل وصَل الأمر بهم إلى تشويه هويّة الشّعب الفلسطينيّ وعروبته الادّعاء بأنّ أصول غالبيّتهم تعُود إلى أصولٍ يهوديّة. وقد جاءت هذه الدِّراسة لتسليط الضّوء على واحدةٍ مِن هذه المحاوَلات الصّهيونيّة لقلب الحقائق التّاريخيّة، وذلك مِن خلال قِصّة "بدْو مِن أصل يهوديّ – בדווים ממוצא יהודי" للكاتبة الصّهيونيّة "راحيل ينائيت بن تسفي– רחל ינאית בן-צבי"، التي تدّعي مِن خلالها أنّ عشائر البدول واللّيّاثنة التي تقطن في منطقتَي وادي موسى والبترا في جنوب الأردن تعودان إلى أصولٍ يهوديّة، وكلّ ذلك بهدف ربْط الوجود التاريخيّ اليهوديّ المزعوم في هذه الأرض العربيّة.

أسئلة الدِّراسة

هذه الدِّراسة ما هي إلّا محاوَلة، ضِمْن محاوَلاتٍ ممْكِنة، للإجابة عن بعض الأسئلة التي مِن أهمّها:

- مَن هي "راحيل ينائيت بن تسفي"، وما هو الدّور الذي لعبَته في حركة الاستيطان اليهوديّ في فلسطين سواء قبل قيام ما يُسمّى بـ"دولة إسرائيل" أو بَعْده.
- كيف بَدأَت الادّعاءات الصّهيونيّة فيما يتعلّق بالأصول اليهوديّة للفلّاحين الفلسطينيّين، ومِن ثَمّ انتقال هذه الفكرة لتَشمل أيضًا البدو في منطقتَي البترا ووادي موسى الواقعتين في جنوب الأردن.
- كيف عادت هذه الادّعاءات الصّهيونيّة للظّهور مَرّةً أُخرى خلال العقود الأخيرة، بَعد انقطاع، وما هو التوجُّه الصّهيونيّ الجديد في هذا الإطار.
- ما الذي جعَل "راحيل ينائيت" تتبنّى فكرتها المتعلِّقة بالأصول اليهوديّة للعشائر الأردنيّة العربيّة التي تقطن في منطقتَي البترا ووادي موسى.

أهداف الدِّراسة

وبناءً على هذه الأسئلة فقد وَضعَت الدِّراسة عَددًا مِن الأهداف المعرفيّة التي سعت لتحقيقها، ومِن أهمّها:

- إبراز الدَّور الذي لَعبَته الصّهيونيّة في تشوية تاريخ المنطقة وتحريفه بما يَخدم تثبيت دعائم الاستيطان اليهوديّ في فلسطين.
- بحْث الدّور الذي لعبَته "راحيل ينائيت" في الحركة الصّهيونيّة والاستيطان اليهوديّ في فلسطين.
- الكشف عن بدايات الدّراسات والنظريّات الصّهيونيّة المتعلّقة بالأصول اليهوديّة للفلّاحين الفلسطينيّين وللبدو في البترا ووادي موسى.
- إبراز بعض النّقاط التي استخدمَتها "راحيل ينائيل" في قِصّتها مِن أجْل إيهام القارئ بصحّة أفكارها الصّهيونيّة.

أهميّة الدِّراسة

تَكمُن أهميّة هذه الدِّراسة في أنّها الأولى – على حَدّ عِلم الباحث - التي تُلقي الضّوء على واحدةٍ مِن المحاوَلات الصّهيونيّة، التي لا تنتهي، في سعيها المتواصل لتهويد قبائل عربيّةٍ أصيلة وذلك مِن خلال محاوَلة إرجاعها إلى أصولٍ يهوديّة، وهو هدَف ما انفكّت الصّهيونيّة في سعيها إليه وما زالت مستمرّة في سعيها هذا.

منهجيّة الدِّراسة

نظرًا إلى طبيعة موضوع الدِّراسة، فقد اتّبَع الباحث، في دِراسته هذه، منهجَين جَرى التّوفيق بينهما، وهُما: المنهج الوصفيّ التحليليّ، الذي يتناسب مع هذا النّوع مِن الدِّراسات. بالإضافة إلى المنهج التاريخيّ مِن حيث نشأة ما يُسمّى بـ"خطّة الارتباط" وموضوع الأصول اليهوديّة للفلاّحين الفلسطينيّين كما يدَّعي القائمون على الصّهيونيّة. وقد قُسِّمَت الدِّراسة إلى مقدِّمة وجزأَين أساسيّين، تناوَل الباحث في الجزء الأوّل منها الادّعاءات الصّهيونيّة حوْل أصول الفلاّحين الفلسطينيّين وعشائر البدول واللّياثنة؛ أمّا الجزء الثاني فقد خُصِّص لدراسة السّيرة الذاتيّة للكاتبة "راحيل ينائيت"، ودِراسة مضمون قِصّة "بدو مِن أصل يهوديّ"، فضلًا عن ترجمَتها إلى العربيّة. وقد ذيّل الباحث دِراسته بأهمّ النّتائج التي توصَّلَت إليها.

الدِّراسات السّابقة

هناك عَدَد كبير مِن الدِّراسات والأبحاث التي تناولَت موضوع الاستيطان اليهوديّ في فلسطين، والادّعاءات الصّهيونيّة التي رافقَت هذه العمليّة. كما تناولَت أدبيّات أُخرى الإجراءات العمليّة التي اتّخذتها هذه الحركة على أرض الواقع في فلسطين مِن محاوَلات مستمرّة لتهويد أسماء الأماكن والمدن والقرى الفلسطينيّة التاريخيّة. لكن لَم تأتِ أيّة دِراسة عربيّة – على حَدّ عِلْم الباحث – على موضوع محاوَلة إرجاع نسب القبائل التي تقطن في منطقتَي وادي موسى والبترا الواقعتين في جنوب الأردن إلى أصول يهوديّة. ومِن هنا جاء اختيار هذا الموضوع ليكون عنوانًا لهذه الدراسة.

الادّعاءات الصّهيونيّة حوْل أصل الفلاّحين الفلسطينيّين

في نهايات النّصف الثاني مِن القرن التّاسع عَشَر للميلاد بَدأ باحثون غربيّون، خلال زيارتهم إلى فلسطين، بإجراء دراساتٍ وأبحاثٍ حوْل هويّة الفلاّحين الفلسطينيّين، وذلك في محاولةٍ منهم لربْط أصول أولئك الفلاّحين بأصول يهوديّة. ومِن بَيْن هؤلاء "كلود راينر كوندر" (Claude Reugnuer Conder) (1848 – 1919م)، وهو جنديّ بريطانيّ وعالِم في حقل الجغرافيا والآثار، وواحدٌ مِن أهمّ الباحثين لتاريخ فلسطين خلال القرن التّاسع عَشَر، وقد شَغل منصب رئيس وفْد صندوق اكتشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund) الذي أُسِّس في بريطانيا عام 1864م، حيث أَجرى القائمون على هذا الصّندوق مسحًا شاملًا لفلسطين خلال سبعينيّات القرن التّاسع عَشَر. (אילת, 1999: 167) أجرى "كوندر" بحْث موسَّع حوْل لهجة الفلاّحين في فلسطين ووَجد أنّها تختلف عن لهجة سكّان المدن، كما وَجد أيضًا أنّها تحتوي على كثير مِن الكلمات الآراميّة والعبريّة. وقد شَمِلت الدّراسة 10000 اسمٍ مِن أسماء القرى والينابيع والجبال والوديان والتّلال في كُلّ أرجاء فلسطين مِن الأسماء التي بقيَت عبريّة. (Conder, 1879) لكن لا بُدّ مِن الإشارة هنا إلى نقطتين اثنتين: الاولى تتعلّق بالنّتيجة التي ساقها "كوندر" حول اختلاف لهجة سكّان الفلّاحين في فلسطين عن لهجة أهل المدن، فهذا أمرٌ لا يمكِن الأخذ به دليلًا على ما ذهب إليه "كوندر" في دراسته المذكورة أعلاه؛ ففي كل دولة تقريبًا هنالك فروقات لغويّة بين لهجة سكّان المدن ولهجة سكّان الأرياف؛ أمّا النقطة الثانية في رَدّ الباحث على ما ذهب إليه "كوندر" حول وجود تداخل لُغويّ، أو وجود العديد مِن الألفاظ العبريّة أو الآراميّة في لهجة سكّان فلسطين في ذلك الوقت، أو حتى في الوقت الحاضر، فإنّ ذلك لا يَعني الادّعاء بأنّ سكّان تلك المنطقة هُم مِن أصول يهوديّة اعتنقوا الإسلام فيما بَعْد كما يُروّج أصحاب هذه الفرضيّة. فلطالما أثّرت اللّغات في عضها البعض، واقترضَت مِن بعضها البعض، دُون أنْ يشكّل ذلك دليلًا على أنّ أهل اللّغة المقترِضة يعودون في أصولهم إلى أصل أهْل اللّغة المؤثِّرة. يضاف إلى ذلك أنّ هذه اللّغات تنتمي إلى عائلة لغويّة واحدة وهي اللّغات السّاميّة، وبالتالي مِن الطّبيعيّ أنْ يكون هناك العديد مِن الألفاظ المشترَكة بينها. لكنّ الهدف الصّهيونيّ هنا واضحٌ وهو هدَف يرمي إلى إعادة تاريخ اليهود في المنطقة بُغية إعطائهم حَقًّا تاريخيًّا في هذه المنطقة.

ثمّ بَدأَت مجموعةٌ مِن المؤرّخين والسّياسيّين والأدباء الصّهاينة بإجراء دِراساتهم في هذا الاتّجاه، ومنهم "بير بوروخوف –בר בורוכוב" (1881م –

1917م)، وهو أحد روّاد الحركة الصّهيونيّة ومِن مؤسِّسي حزب "عمال صهيون – פועלי ציון" وقادته البارزين، فقد ادّعى في مقالةٍ له نَشَرها عام 1905م بأنّ "الفلاّحين في فلسطين هُم أحفاد مباشرون لبقايا الاستيطان الزراعيّ اليهوديّ... ليس هناك، في حقيقة الأمر، ما يربطهم بالعرب أو بالأتراك... وعدا اللّغة والدّين لا يوجَد أيّ شيء مشترَك بين فلاّحي إسرائيل [فلسطين] والعرب." (בארי, 1985: 130-132) وكان "إسرائيل بلكيند – ישראל בלקינד" (1861م – 1921م)، وهو مِن روّاد الهجرة الأولى ومِن البارزين في مجال التّعليم في "إسرائيل"، قد سبَق "بوروخوف" في هذا الادّعاء حيث قال: "إنّ سكّان البلاد [فلسطين] هُم في غالبيّتهم مِن أحفاد اليهود." (אלמוג, 2002: 86) وقد تَوصّل "بلكيند" مِن خلال أبحاثه في هذا المجال إلى نتيجةٍ مفادها أنّ هناك علاقةً واحدة فقط يمكِن أنْ تَقوم بين اليهود الفلسطينيين، وهي علاقة أُخوّة "أبناء أمّة واحدة"، حيث قال في هذا الصّدد: "نجِد أنّ العرب الذين يَسكنون في بلادنا [فلسطين] هم أحفاد شَعب إسرائيل، نحن نعترف بأنّهم إخواننا، لكنّهم لا يَروننا إخوانًا لهم اضطُرّوا للابتعاد، ويعاملوننا كالغرباء... وعلى أساس هذه الحقائق سنحدِّد علاقتنا بهم مستقبَلًا. ومِن الواضح أنّ علاقةً واحدة فقط قد تَنشأ بيننا، علاقة أُخوّة؛ ليس فقط إخوانا بالمعنى السّياسيّ، بعْد أنْ أجبَرنا التّاريخ على أنْ نعيش في دولة مشترَكة، وإنّما أيضًا أخوّة في العنصر، أخوّة أبناء أمّة واحدة." (בלקינד, 1969: 27)

ومِن ثَمّ جاء دوْر اثنين مِن أبرز قادة الصّهيونيّة وهُما "دافيد بن غوريون" و"إسحق بن تسفي" للسّير في هذا الاتّجاه، (بن غوريون هو أوّل رئيس وزراء لإسرائيل، وبن تسفي هو ثاني رئيس لها)، حيث أصدرا في عام 1918م كتابًا بلغة اليديش بعنوان "أرض إسرائيل في الماضي والحاضر - ארץ ישראל בעבר ובהווה"، وتُرجِم إلى العبريّة فيما بَعد. (وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ مصطلَح "أرض إسرائيل" هو الاسم الذي استخدَمَتْه الصّهيونيّة مِن أجْل الإشارة إلى فلسطين وما زال اليهود يَستخدمونه حتى اليوم.) يتناول هذا الكتاب جغرافيّة فلسطين وتاريخها وسكّانها في الماضي والحاضر، وذلك بهدف إقناع الدّول الأُخرى بانتماء فلسطين إلى الشّعب اليهوديّ، وذلك بهدف دَفْع عمليّة إقامة "دولة إسرائيل". الكِتاب، كما هو متوقَّع، مليء بالمغالَطات التاريخيّة حيث خلُص مؤلّفاه إلى نتيجةٍ مفادها أنّه عند بداية الفتح الإسلاميّ لفلسطين كانت الغالبيّة العظمى مِن الفلاّحين العرب الذين سَكنوا في 850 قريةً في فلسطين، وشكّلوا أكثر مِن 50% مِن نسبة السّكان آنذاك، هُم مِن أحفاد اليهود الذين اعتَنقوا الإسلام. وأنّه بَعْد الفتح بَدأَت عمليّة تعريب أدّت إلى تغيير اللّغة المنطوقة مِن الآراميّة إلى العربيّة، وبَدأ الدِّين الإسلاميّ ينتشر مع انتشار اللّغة العربيّة. كما يضيف المؤلّفان بأنّ هؤلاء الفلاّحين اليهود اضطُرّوا إلى اعتناق الدِّين الإسلاميّ لأسبابٍ كثيرة. (בן גוריון ובן-צבי, 1980) وتجدر الإشارة في هذا السّياق إلى أنّ كثيرين مِن مؤيّدي النّظريّة القائلة بأنّ العرب في فلسطين هُم مِن نَسْل الفلاّحين اليهود الذين اعتَنقوا الإسلام فيما بَعد، يَعتمدون في نظريّاتهم على هذا الكتاب. علمًا بأنّ هناك قِسْمًا مِن المؤرّخين الإسرائيليّين رَفَض فرضيّة أنّ العرب في فلسطين هُم يهود اعتَنقوا الإسلام، ومِنهم المؤرّخ الإسرائيليّ "شموئيل ألموج – שמואל אלמוג" (1926م – 2008م)، الذي رَدّ هذه الفرضيّة إلى أنّه كان لقادة الحركة الصّهيونيّة في بدايتها حُلمٌ بأنّ عرب فلسطين كانوا مِن أحفاد اليهود الذين اعتَنقوا الإسلام، وأمِلوا في إعادة دمجِهم في الشّعب اليهوديّ، وهذا ما عبّر عنه بن غوريون وبن تسفي في كتابهما "أرض إسرائيل في الماضي والحاضر". وقد عَرّف ألموغ هذه الظّاهرة التي انتهت بَعْد الحرب العالميّة الأولى بأنّها "حُلُم استيقَظ منه قادة الصّهيونيّة." (אלמוג, 1984: 175)

بَعْد ذلك واصَل "بن تسفي" أبحاثه ودِراساته في هذا المجال حيث عاد ليؤكِّد ادّعاءه بأنّ أصول الفلاّحين الفلسطينيّين تعُود للاستيطان اليهوديّ القديم وذلك في كتابه "سكّان بلادنا – אוכלוסי ארצנו"، الذي صَدَر عام 1932م، حيث يقول:"مِن الواضح أنّه لن يكُون مِن الصّحيح القول إنّ كلّ الفلاّحين هُم مِن بقايا اليهود القدماء، لكن الغالبيّة العظمى منهم هُم كذلك... أصولُ الغالبيّة العظمى مِن الفلاّحين هي مِن الفلاّحين اليهود الذين كانوا يشكِّلون أغلبيّةً في البلاد قبْل "الاحتلال" الإسلاميّ." (בן-צבי, 1932: 39) وهنا لا بدّ مِن الإشارة إلى أنّ "إسحق بن تسفي" تأثر في أفكار "بير بوروخوف" بخصوص ما ذَهَب إليه في كتاباته وادّعاءاته بهذا الخصوص؛ فقد كانت تَربطهما علاقةٌ قويّة، وكانت أفكارهما متقاربة، وهذا ما أشارت إليه زوْجته، "راحيل ينائيت بن تسفي"، وذلك مِن خلال كتاب مذكّراتها بعنوان "نحن مهاجرون - אנו עולים" حيث تقول حوْل لقائهما بـ"بير بوروخوف" في فيينا: "التقينا ببوروخوف في مقهى صغير... وكنّا ننصت لِما يقول... بن تسفي وبوروخوف هُما صديقان مقرّبان منذ طفولتهما... علاقةُ بوروخوف بنا هي علاقةُ أخٍ كبير بإخوته الصّغار." (ינאית בן-צבי, 1962: 127)

ويبدو أنّ الحروب والمواجَهات العديدة التي دارت بَيْن العرب والصّهاينة في أعقاب قيام ما يُسمّى بـ"دولة إسرائيل" أدّت إلى تقليل اهتمام الصّهاينة بهذه النظّريات حوْل الفلاحين الفلسطينيين. إلّا أنّه ظَهرَت، خلال العقود القليلة الأخيرة، مجموعةٌ مِن المؤرّخين الإسرائيليّين الذين عادوا للخوض في مسألة "الأصل العبريّ للفلسطينيين" والتقارب بين اليهود والفلسطينيّين، وقدَّموا ما يُسمّى بمبادَرة أو خطّة "الارتباط - ההתחברות"، التي يَرى منظِّروها أنّه "في ضوء عدم وجود أمَل في حلّ دولتَين لشعبَين، فإنّ الحَلّ المطلوب لمشكلة فلسطين هو عودة الفلسطينيين لـ"شعب إسرائيل"، وأنْ يَقوم ارتباط سلام بين الطّرفين في فلسطين وقيام دولةٍ واحدة لقوميّةٍ واحدة. ويضيف هؤلاء المنظِّرون أنّ هذا "هو الحلّ العادل والأخلاقيّ، الذي سينفَّذ مِن خلال اعتراف واختيار حُرّ ويمْكنه أنْ يحرِّر الفلسطينيّين واليهود، على حَدّ سواء، مِن كارثة النّزاع في الشّرق الأوسط." ومِن بيْن أَشهر الدّاعين إلى هذه الخطّة المحامي الإسرائيليّ "إيلون يردن – אילון ירדן"، وكذلك الأديب والمؤرّخ الإسرائيليّ "تسفي مسيناي – צבי מסיני". حيث يَرى "إيلون يردن" في كتابِه "الارتباط الإسرائيليّ بديلًا لطريق أوسلو – ההתחברות הישראלית חלופה לדרך אוסלו" الصّادر في عام 2010م، بأنّ "غالبيّة الفلسطينيّين هُم أحفاد شَعب إسرائيل القديم وليسو أحفاد الكنعانيّين أو العرب." (ص 53) ويضيف "يمْكِننا أنْ نتوصّل وبكلّ تأكيد إلى أنّ غالبيّة سكّان أرض إسرائيل

[فلسطين] في بداية القرن التّاسع عَشَر كانوا أحفادًا مباشِرين لشَعب إسرائيل القديم، وقد أُجبِروا على الاستعراب والدّخول في الإسلام خلال فترة الاحتلال العربيّ الإسلاميّ." (ص 55) ويَرى إيلون أنّ "خَلْق هويّة مشترَكة لسكّان الدّولة اليهوديّة وللسكّان متحدّثي العربيّة هي شَرْط أساسيّ للارتباط الحقيقيّ، أيْ، لخلق أمّة إسرائيليّة معاصِرة واحدة في أرض إسرائيل الكاملة. ولكي يَحدث ارتباط قوميّ مِن هذا النّوع، لا يكفي أنْ نشير إلى أصلٍ وراثيّ مشترَك أو مَوْطن مشترَك. هذان العاملان هُما شَرطان أساسيّان، لكنهما لا يكفيان. الهويّة المشترَكة فقط هي التي تُوفِّر الارتباط الحقيقيّ بين البشر." (ص 185) وهذه الأفكار نفْسها تقريبًا تناوَلها كذلك الأديب والمؤرّخ الإسرائيليّ "تسفي مسيناي" في أكثر مِن مؤلَّفٍ له، مِنها كِتابه "أيُمكِن أنْ يقال مشكلة أرض فلسطين، الجذور والحلّ – יאמן כי יסופר בעיית ארץ ישראל, שורשיה ופתרונה"، الذي صَدَر في عام 2006م، وكتاب "الارتباط – مشكلة أرض إسرائيل جذورها وحلّها - ההתחברות – בעיית ארץ ישראל שורשיה ופתרונה"، الذي صدَر في عام 2010م. حيث يكرّر الادّعاء نَفْسه وهو أنّ غالبيّة أبناء الشّعب الفلسطيني تعُود في نَسبها إلى أصول يهوديّة أُجبِرَت على اعتناق الإسلام، لكن ربّما ما يُميّز "مسيناي" عن غيْره هو أنّه لَم يقتصر في حُكمه هذا على الفلاّحين الفلسطينيّين، وإنّما شمِل البدو أيضًا. ويدّعي في هذين الكتابين أنّ "حَلّ النزاع العربي الإسرائيليّ هو أنْ تشكّل إسرائيل وطنًا مشترَكًا: أرض إسرائيل الكاملة لشعب إسرائيل الكامل." (מסיני, 2006؛ 2010)

الادّعاءات الصّهيونيّة حَوْل نَسَب عشيرتَي البدول واللّياثنة

تُبيّن الصّفحات القليلة السّابقة بعضًا مِن الادّعاءات الصّهيونيّة فيما يتعلّق بإرجاع الفلاّحين في فلسطين إلى أصولٍ يهوديّة. أمّا "راحيل ينائيت بن تسفي – רחל ינאית בן-צבי"، فلم تكتفِ بذلك، وإنّما تجاوَزَته لتصل في ادّعاءاتها إلى الضّفة الشّرقيّة لنهر الأردن، وبالتّحديد إلى منطقتَي وادي موسى والبترا في جنوب الأردن لتدّعي أنّ العشائر الأردنيّة العربيّة التي تَقطن في تلك المنطقة، وهي عشائر البدول واللّياثنة، تعودان إلى أصولٍ يهوديّة. واللّياثنة هي مجموعة عشائر في وادي موسى، ويقال إنّ التّسمية هي نِسبة إلى ليث بن سود بن أسلم الحافي مِن قضاعة أو ليث بن بكر بن مناة مِن كنانة. وهُم عدَّة عشائر مِن أصول متعدّدة: (الروابده، 2010: 460-461)

أ- العبيدية (العبيدين): وتَضم الحسنات، والهلالات، والمشاعلة، والنّصرات، والطّويسات.

ب- العلايا: وتَضم الشّماسين، والحمادين، والعمرات، والمساعدة، والنّوافله.

ت- بني عطا: وتَضم السّلامين، والفرجات، والفلاحات، والفضول.

أمّا عشيرة البدول فيَسكنون في وادي موسى وأُم صيحون والحميمة، ويتبعون عشيرة المطالقة (ابن جازي) مِن قبيلة الحويطات، وقد يكُونون مِن قدماء الأنباط وفروعهم: الموسى، الجذيلات، الحساسين، والجرايمة، والزياتين، والجعيبات، والشّياهين، والعكالين. (الروابدة، 2010: 68-69)

ومِن خلال اطّلاع الباحث على بعض ما كُتِب بالعبريّة حوْل شرقي الأردن تبيّن بأنّ النِّظام التربويّ الصّهيونيّ في "إسرائيل" يَنظر إلى هذه المنطقة على أنّها جُزء لا يتجزأ، سواء مِن النّاحية التاريخيّة أو الجغرافيّة، ممّا يُسمّى في الفِكر الصّهيونيّ "أرض إسرائيل". وقد تطرّق سمير كنعان، الحافي، أبو جاد وأبو فرخ في دِراستهم بعنوان "العرب في مناهج التّعليم الإسرائيليّة" (2004)، إلى أَحد كُتُب التّاريخ التي تُدرَّس في المدارس الإسرائيليّة وهو بعنوان "كِتاب القرن – ספר המאה" الصّادر عام 1996، لمؤلّفه "موردخاي ناؤور - מרדכי נאור"، ووَجَدوا في تلك الدِّراسة أنّ الكِتاب يُشير إلى "أنّ يهود شرْق الأردن أقاموا علاقاتٍ وثيقة مع أرض إسرائيل [فلسطين]... وفي العصور الوسطى والحديثة بقي القليل مِن يهود شرْق الأردن، وإنّ آخِر مَن تبقّى مِن اليهود غادَر الأردن في نهاية الانتداب البريطانيّ." (ص 184) ووَرَد في تلك الدِّراسة أيضًا أنّ ذلك الكِتاب تطرّق إلى ذِكْر البدو الموجودين في البترا. حيث ذَهَب مؤلّفه، كما أكّد كنعان وآخَرون، بعيدًا في ادّعاءاته حَوْل وجودهم التاريخيّ في هذه البلاد بسرد رواياتٍ غيْر موثّقة علميًّا ولا تَرتكز على أيّ سَندٍ تاريخيّ، ومِمّا وَرَد في ذلك الكِتاب أنّه "حَسَب إحدى الرّوايات فإنّ غالبيّة البدو مِن أبناء عشيرة البدول هم سلالة أبناء إسرائيل منذ عهْد سيّدنا موسى، فتقول تلك الرّواية إنّ مَصدَر اسم البدول أساس كلمة التغيُّر (التبدُّل) وإنّ هؤلاء هُم الذين نجوا مِن القبيلة التي أُبيدت بيد بني إسرائيل، وإنّهم قالوا لموسى إنّهم تغيَّروا، أيْ بمعنى آخَر إنّهم مِن الآن فصاعدًا قد اعتَنقوا اليهوديّة." (ص 191)

وعند الاطّلاع على المحاوَلات اليهوديّة الصّهيونيّة في إثبات وجود أصول يهوديّة في شرقيّ الأردن وأنّ وجودهم في هذه المنطقة لَم ينقطع يتبيّن أنّ تلك المحاوَلات جاءت خلال نهاية القرن التّاسع عَشَر والعقود الأولى مِن القرن العشرين، لكن بَعْد ذلك قلّما نجِد كتابات يهوديّة سواء تاريخيّة أو أدبيّة تشير إلى هذا الوجود، وبَدأَت هذه الجهود تتركّز حوْل الكتابة عن الوجود التاريخيّ لليهود في فلسطين وخصوصًا في مناطق الجليل، والخليل ونابلس وغيرها مِن المناطق. ولعلّ ذلك يدلّل على أنّ المشروع الصهيونيّ التوسعيّ في بداياته، وخصوصًا خلال العقود الأولى مِن القرن العشرين، كان يَطمح في إنشاء مشروعات كثيرة للاستيطان اليهوديّ في شرقيّ الأردن، إلا أنّ هذا الهدف لَم يتحقّق وبَدأَت هذه الفكرة تتلاشى شيئًا فشيئًا، وخصوصًا بَعد تأسيس إمارة شرْق الأردن عام 1921م والدّعم البريطانيّ لهذه الإمارة، ممّا جَعَل القائمين على المشروع الصّهيونيّ يَفصلون شرقيّ الأردن عن مشروع الوطن القوميّ اليهوديّ.

أمّا بالنسبة لـ"راحيل ينائيت" فمِن الواضح أنّها تأثّرت كثيرًا في أفكار زَوْجها ورفيقها في الحركة الصّهيونيّة، "إسحق بن تسفي"، حوْل الأصل اليهوديّ للبدو في منطقتَي البترا ووادي موسى، وهذا ما تُعبّر عنه في قِصّتها "بدو مِن أصْل يهوديّ" حيث تقول: "بَدأَت رغبة بن تسيون في اكتشاف بقايا بني إسرائيل

بَيْن البدو تنتقل إليّ أنا أيضًا.... " "תשוקתו של בן-ציון לגלות נדחי ישראל בין הבדווים עברה גם אלי.... " (עמ' 101) وقد تطرّق "إسحق بن تسيون" في كِتابه الذي جاء بعنوان "بقايا استيطان – שאר ישוב" (1926: 376) إلى "أنّ هناك احتمالًا كبيرًا بأنْ تكُون العشائر الموجودة في البترا مِن عشائر البدول واللّياثنة هي مِن بقايا العشائر اليهودية التي وقَّعَت في القرن السّابع الميلاديّ (عَقْد سلام) اتفاقًا مع محمّد عليه الصّلاة والسّلام، وأنّهم اتّخذوا مِن الإسلام دِينًا لهم. ودَلّل على ادّعائه هذا بالاحترام والقدسيّة اللّذين يوليانهما أبناء تلك العشائر لضريح هارون الكاهن الموجود على أعلى نقطة في مدينة البترا الأثريّة. وفي قِصّتها عادت "راحيل ينائيت" لتؤكّد الفكرة نَفْسها حَوْل ذلك الضّريح، حيث تقول: "على قمّة الجبل يُمكِن مشاهدة قُبّة ذات لوْن أبيض. إنّه قبْر هارون الكاهن، وهو مقدَّسٌ ومحترَمٌ مِن قِبَل كلّ أهْل المنطقة. تُرى هل بقي هذا القبر هنا منذ العصور القديمة؟ هل جرى ترميم هذا القبر؟" "על ראש הור-ההר מבחינה העין בכיפה מלבינה. זה קברו של אהרן הכהן, המקודש והנערץ בעיני כל אנשי הסביבה. האם השתמר פה קבר מאז ימי-קדם? התוקן הבניין?" (עמ' 105)

ولَم تخلُ القِصّة مِن وَصْف العرب الذي كان دائمًا يتّسم بالعنصريّة، الذي يشير هنا إلى أنّ الكاتبة لَم تتخلَّ عن نظرتها الصّهيونيّة الاستعلائيّة تجاه كلّ ما هو عربيّ؛ فنظرتها إليهم في هذه القِصّة تتماشى مع النّظرة الصهيونيّة؛ فقد وصفَتهم بأنّهم متوحشون وعدوانيّون تجاه البدول، وأنّهم لَم يقبلوا بالتّعايش مع هذه العشيرة فقط لكونهم، كما تدّعي، يعودون إلى أصولٍ يهوديّة. رغْم أنّ الواقع يختلف تمامًا عمّا ذهبَت إليه الكاتبة، فالعلاقات الاجتماعيّة للبدول مع القبائل الأخرى المحيطة بهم علاقاتٌ طيّبة منذ الأزل، لكنّ الكاتبة جاءت بهذه الادّعاءات لكي تُعزّز هدَفها مِن وراء كتابتها لهذه القصة، وكذلك لكي لا تَخرج عن الفكرة السائدة لدى الصّهيونيّة، وهي أنّ اليهودي كان ضحيّةً، وكان على الدّوام مضطَهَدًا خلال الفترة التي يُسمّيها الفِكر الصّهيونيّ فترة "الشتات – הגלות". ولتعزيز هذه الفكرة فقد سردَت الكاتبة روايةً عاريةً عن الصِّحة ولا أصْل لها إلّا في خيالها هي، تدّعي أنّها ورَدَت على لسان قائد منطقة البترا خلال فترة الحُكم العثمانيّ للمنطقة، حيث تقول: "واصلتُ تفكيري في بقايا البدو اليهود، وتذكّرتُ ما قاله قائد البترا في الماضي غيْر البعيد... سأل الشّيخ الذي كان يرافقه، مَن هُم هؤلاء الذين يبدون كالغزلان؟ أجابَه الشّيخ: هؤلاء هُم أبناء البدول.... " "הוספתי להרהר בשרידים הללו של הבדווים היהודים, ונזכרתי בדבריו של מפקד פטרה בעבר הלא רחוק... שאל את השייך שליווה אותו, מן הן הדמויות הללו שנראות כאיילות? והשייך השיב: אלה הם בני הבדול.... " (עמ' 103) وتُواصِل الكاتبة روايتها تلك بأنْ يقوم ذلك القائد، بَعْد ذلك، بالقبض على مجموعةٍ مِن أبناء البدول، وبَعْد ثلاثة أيّام مِن احتجازهم في المَركز الأمنيّ، يقُوم هذا القائد باستدعاء أحدهم الذي يَبدأ بالحديث عن أحوال أبناء هذه العشيرة قائلًا بأنّهم: "مضطَهَدون مِن قِبَل بقيّة العشائر البدويّة، وأنهم مضطرّين للاختباء بين شقوق الصّخور، وأنهم مضطَهَدون بسبب أصلهم اليهوديّ." "נרדפים הם על-ידי יתר שבטי הבדווים, כיצד נאלצים הם להסתתר בנקיקי הסלעים, ונרדפים הם על שום מוצאם היהודי." (עמ' 104) ولعلّ هدَف الكاتبة مِن خلال اختلاق هذا الحوار المزعوم بين قائد المَركز الأمنيّ وبَيْن أحد أفراد عشيرة البدول هو أنْ تؤكّد الأصول اليهوديّة لهذه العشيرة على لسان أحد أبنائها مِن جِهة، وأنْ تؤكّد الرّواية الصّهيونيّة المزعومة حوْل اضطهاد اليهود خلال الفترة التي تُعرَف في فِكرهم بـ"الشتات" مِن جهةٍ أُخرى.

ملخَّص أحداث القِصّة

هذه القَصّة، وقبْلها الكثير مِن الأعمال الأدبيّة العبريّة، تميط اللّثام عن دعاوى الصّهيونيّة الكاذبة التي روَّجَت أفكارًا واهية كاذبة، ومِن بينها أنّ اليهود هم أصحاب حَقّ تاريخيّ في فلسطين وما حوْلها، ومِن هنا يتبيّن أنّ الكاتبة تدّعي أنّ عشائر البدول واللّياثنة ما هُم إلّا بقايا يهود اضطرّوا إلى اعتناق الإسلام. وقد نُشرَت هذه القِصّة ضِمن الجزء السّابع مِن سلسلة انطولوجيا القصص المعاصرة، التي جَمَعها وحَرَّرها الأديب الإسرائيليّ "يوسف أريخا – יוסף אריכא" في عام 1963م، وجاءت هذه السِّلسلة تحت عنوان "قصص عبريّة مِن حياة العرب – סיפורים עבריים מחיי הערבים". ولا يختلف مضمون هذه القَصّة كثيرًا عن المضامين العامّة التي سَرَدها الباحث في هذه الدّراسة حوْل الادّعاءات الصّهيونيّة فيما يتعلّق بالأصول اليهوديّة المزعومة للفلاّحين الفلسطينيّين، لكنّ الذي يميّز هذه القِصّة عن تلك الأدبيّات هو أنّها تتناول شريحةً أُخرى في مكانٍ جغرافيّ مختلِف، ففي حين تركَّزَت الغالبيّة العظمى مِن الأعمال التاريخيّة والأدبيّة الصّهيونيّة حوْل الفلاّحين والبدو في فلسطين فإنّ هذه القِصّة تتركّز حوْل قبائل البدول واللّياثنة في منطقتَي البترا ووادي موسى في جنوب الأردن.

قبْل الحديث عن مضمون هذه القصّة لا بُدّ مِن الإشارة إلى أنّ العنوان الذي اختارته الكاتبة لقِصّتها، "بدو مِن أصل يهوديّ"، ساهَم كثيرًا في الكشف عن هدَفها مِن كتابة هذه القِصّة، ويُمكِن القول أنّه قَدَّم فكرةً شاملةً وجامعة عن النّص تُمكِّن القارئ مِن فَهْم الدّلالة والمغزى العام الذي يحتويه النّص الذي هدَفَت الكاتبة إليه مِن خلال اختيارها هذا العنوان. كما حاولَت الكاتبة مِن خلاله إثبات مقصدها برمَّته؛ فأوّل ما تقع عليه عيْن القارئ هو العنوان، وهو عتبة النصّ الأولى، وقد شَكّل هذا العنوان ركنًا أساسيًّا، وذلك بُغية إثارة اهتمام القارئ وشَدّ انتباهه لمتابَعة أحداث القَصّة، والإيحاء للقارئ بالهدف الذي أرادته الكاتبة مِن وراء كتابتها لهذه القِصّة، وهو أنّ هناك بدوًا مِن أصول يهوديّة. ومع توالي الأحداث في هذه القِصّة، التي يتداخل فيها السّرد والحوار والوصف، تُظهر الكاتبة للقارئ مدى ارتباطها بأفكارها الصّهيونيّة، وذلك مِن خلال زَعمها بالوجود التاريخيّ لليهود في البترا ووادي

موسى، وأنّهم كانوا مضطهَدين، وأنهم اضطُرّوا، فيما بَعد، للدّخول في الدِّين الإسلاميّ.

تتحدّث راحيل في قِصّتها هذه عن زيارةٍ لها برفقة زوْجها "إسحق بن تسفي" واثنين آخَرَين إلى البترا مرورًا بوادي موسى في جنوب الأردن. وتقدِّم الكاتبة للقارئ وصفًا شاملًا لمدينة وادي موسى والطّريق المؤدّية إليها، والطّبيعة الجميلة التي تتميّز بها تلك المنطقة. ثمّ تنتقل بَعْد ذلك لتَصف وصولهم إلى مَركز الشُّرطة الموجود في وادي موسى، وهو يُمثِّل الجهة التي تَقوم على تنظيم زيارة المدينة الأثريّة، كما يَقوم هذا المَركز أيضًا بتأمين دليلٍ ليقود رِحلتهم إلى البترا. لتنتقل بَعْد ذلك إلى وَصْف رِحلتهم إلى البترا وما رافَق ذلك مِن حواراتٍ مع مرشدهم، وهو أحد أفراد عشيرة البدول. يحاوِل زَوْجها، مِن خلال حواره مع هذا المرشد، خلال اليومَين اللّذَين قضاهما معهم في أثناء الرِّحلة، أنْ يَجد أجوبةً لبعض الأسئلة التي كانت تراوده حوْل أصول القبائل التي تَسكن هذه المنطقة. بَعد ذلك يتولّد لدى راحيل أيضًا هذا الفضول، حيث تَسرد العديد مِن الرّوايات التي تحاول مِن خلالها إيهام القارئ بصحّتها والإيحاء له بتواصل الوجود اليهوديّ التاريخيّ، حسب زَعْمها، في البترا ووادي موسى. وتأتي الكاتبة بهذه الرّوايات على لسان زوْجها تارةً، وتارةً أخرى على ألسنة بعض أبناء العشائر التي تقطن هذه المناطق، كما أنّها تحاول أنْ تدْعم رواياتها بالاستشهاد ببعض الرحّالة والمستشرقين الذين زاروا البترا في نهايات القرن التّاسع عَشَر.

في بداية القِصّة، بَعْد أنْ تعطي "راحيل" وصفًا لجمال المنطقة، تَبدأ بوصف القبائل التي تَسكن تلك المنطقة فتقول: "هناك قبيلتان مِن أصلٍ يهوديّ تسكُن في وادي موسى: البدول واللّياثنة... هل مازال هناك العديد مِن البدول واللّياثنة حتى اليوم؟ نحن مشتاقون لرؤيتهم. بن تسفي حريص على التحدُّث إليهم، واستكشافهم." "שני שבטים ממוצא יהודי שוכנים בוואדי מוסא: הבדול והליאתנה... הגם היום מרובים כאן בני הבדול והליאתנה? אנו משתוקקים לראותם. בן-צבי להוט לשוחח עמם, לחקור אותם." (עמ' 100) هذا هو الحُكم الأوّل الذي تنطلق منه الكاتبة في ادّعائها حوْل الأصول اليهوديّة لساكني منطقتَي البترا ووادي موسى. وبَعد أنْ تتوجّه برفقة زوْجها إلى مَركز الشُّرطة الموجود في وادي موسى، حيث إنّه وحتى نهاية سبعينيّات القرن المنصرم كان مَركز الشّرطة في وادي موسى هو المسؤول عن تنظيم زيارة السّيّاح إلى البترا، وهو المسؤول كذلك عن تقاضي رسوم الدّخول إلى تلك المدينة الأثريّة. ثمّ أُنشأ، بَعد ذلك، مركز زوّار البترا ليصبح هو المسؤول عن القيام بهذه الأدوار. وهناك يقابِلان أحد أفراد عشيرة البدول، وما أنْ تحدِّق راحيل به حتى تتذكّر يهود اليمن: "حدّقتُ في ذلك البدويّ... إنه يُذكِّرني بإخواننا مِن يهود اليمن، شيء قريب، عرقيّ." "עיני ננעצו בבדווי... הוא מזכיר לי את אחינו התימנים, משהו קרוב, גזעי." (עמ' 100) وخلال مرافَقة هذا الشّخص لهما في رِحْلتهما إلى البترا، يؤكِّد لها بن تسيون أنّه "ليس هناك أدنى شَكّ - قال بن تسيون – أنّ قبيلة البدول هي مِن أصْل يهوديّ." "אין להטיל ספק – אומר בן-צבי – ששבט הבדול הוא ממוצא יהודי." (עמ' 101) بَعْد ذلك، يحاول "بن تسفي" أنْ يَصل إلى جذور هذه العشيرة، ويقدِّم عدّة اقتراحات لذلك، حيث تقول الكاتبة: "أراد بن تسيون أنْ يتحقّق مِن جوهرهم: إلى أيّ مدى بقي لديهم شيء مِن يهوديّتهم. سواء في عاداتهم، أو في علاقاتهم العائليّة. وكان يطمح أن يصل إلى جذورهم الأصليّة: إذا ما كانوا من أحفاد الأسباط اليهوديّة في خيبر، أو إذا كانوا أقدَم مِن ذلك – ربّما يكُونون مِن أحفاد اللاّجئين الذين قدِموا مِن أرض يهودا إلى الشّقوق الصّخريّة، وربّما يكُونون مِن بقايا يهود المستوطَنات في الصّحراء وسواحل البحر الأحمر، الذين تعرّضوا للضّغط والاضطهاد مِن قِبَل جيرانهم المسلمين، وهربَت بقيَّتهم إلى الصّخرة الحمراء." "בן-ציון רוצה לתהות על קנקנם: באיזו מידה נשתמר בהם משהו מיהדותם. אם במנהגיהם, אם בקשרי משפחותיהם. הוא שואף להגיע לשורש מוצאם: אם צאצאיהם של שבטי היהודים בחיבר הם, ואם קדומים מאלה – אולי צאצאי פליטי-חרב מארץ יהודה שנמלטו לחגווי הסלע, ואולי שרידים מיהודי היישובים בערב ובחוף ים-סוף, אשר נלחצו ונרדפו על-ידי דכניהם המוסלמים, ושאריתם נמלטו אל הסלע האדום." (עמ' 101)

ومِن أجْل إيهام القارئ وإقناعه بادّعاءاتها حَوْل الأصول اليهوديّة المزعومة للبدو في منطقتَي البترا ووادي موسى فقد حاولَت "راحيل" أنْ تثبت هذه الادّعاءات مِن خلال بعض الاستشهادات بأقوال غيْر حقيقيّة وغيْر موثَّقة تنسبها إلى بعض المستشرقين والرّحالة الذين زاروا المنطقة في أواخر القرن التّاسع عَشَر للميلاد. ومِنهم المبشِّر والمستشرق "جون ويلسون" والمبشِّر "بالمر". فهي تَستذكر، في أحد أجزاء القِصّة، حوارًا تدَّعي أنّه جرى بيْن "ويلسون"، الذي زار البترا عام 1843م، وبيْن أحد الشّيوخ في هذه المنطقة، بَعْد أنْ دعاه "ويلسون" إلى خيمته ودار بينهما الحوار الآتي:

- "هل تَرون أنفسكم قبيلةً عربيّةً مميَّزة؟"
- أجابَه الشّيخ: "لا، نحن ولاد بني إسرائين" (لا، فنحن مِن بني إسرائيل)

... ووفقًا لكلام الشّيخ، فقد كان السّكان الأوائل لوادي موسى هُم مِن أبناء سبطٍ جاهليٍّ مِن محتلي المكان قبْل مجيء محمد [صلى الله عليه وسلّم]؛ وبَعدهم جاء بنو إسرائيل إلى المنطقة وذلك خلال عَهْد موسى. وفيما بَعد اعتنَق بنو إسرائيل الإسلام.... "

- "האם אתם רואים את עצמכם כשבט ערבי מיוחד?"
- השיב לו השייך: "לא, נחנו ולאד בני אישראין" (לא, בני ישראל אנחנו)

... התושבים הראשונים של ואדי מוסא היו, לדברי השייך, בני שבט ג'אהילי, כובשי המקום לפני מוחמד; אחריהם באו בני ישראל בימי משה, אחר-כך קיבלו "בני ישראל" את דת האיסלאם.... " (עמ' 103)

وتعود الكاتبة في مكانٍ آخَر لتستشهد بأقوال ليس لها أيّ دليلٍ علميّ تَنسبها إلى المستشرِق "بالمر" الذي درس تاريخ اليهود ودِراسة جغرافيّة المنطقة

العربيّة. حيث تأتي بقولٍ على لسانه يَعتقد مِن خلاله، وفقًا لزعْمها، بأنّ "أبناء البدول هُم بقايا سبط بدويّ يهوديّ، سبط كعب، الّذي جاء مِن خيبر ليستقرّ هنا بَعد أنْ سيطَر الإسلام." "בני הבדוּל הם שרידי שבט בדווי יהודי, שבט כּעב, שבא לדור כאן מחיבר אחרי שהשתלט שם האסלאם." (עמ'103)

وفي مكانٍ آخَر مِن القِصّة تعود الكاتبة إلى هذا الطَّرح نَفْسه، ولكن هذه المَرّة مِن خلال حوارٍ آخَر مزعوم تدّعي أنّه جرى خلال تلك الرّحلة إلى البترا، ولكن الحوارهذه المَرّة بينهما، هي وزوجها، وبين أحد أبناء عشائر اللّياثنة بَعد أنْ ظَهَر أمامهما فجأةً وبرفقته ابنته الصّغيرة "وكأنّهما خرَجا مِن بَيْن شقوق الصُّخور." "כמו הגיחו מבין חגווי הסלעים." (עמ' 104) ثمّ يواصِل "بن تسيون" حواره مع ذلك الرَّجل ويسأله عن أصْل اللّياثنة فيُخبره: "في حقيقة الأمْر، يقول البدو الموجودون في هذه المنطقة إنّ أبناء البدول واللّياثنة هُم مِن أصْل يهوديّ، لكنّهم هُم أنفسهم لا يَعرفون شيئًا.... " "אמנם הבדווים שבסביבה אומרים שבני הבדוּל והליאתנה ממוצא יהודי הם, אבל הם עצמם אינם יודעים דבר.... " (עמ' 104)

القصّة مليئة بالمغالَطات والادّعاءات التي روَّجت لها الكاتبة، لكن بَعْد الاطّلاع على السّيرة الذّاتيّة لهذه الكاتبة، ومدى مساهَمَتها، حتى قَبْل أنْ تهاجر إلى فلسطين وبَعْد ذلك، في النّشاطات الصّهيونيّة والمنظَّمات التّابعة لها فوْر وصولها إلى فلسطين، بالإضافة إلى علاقاتها مع رموز الحركة الصّهيونيّة خلال العقود الأولى مِن القرن العشرين، كلّ ذلك يَجعل القارئ لا يتوقّع منها غَيْر ذلك؛ فهذا ديدن الصّهيونيّة منذ ظهورها، اختلاق الأكاذيب والتزوير والادّعاءات واتّباع كلّ الوسائل والطّرق التي تُمكّنها مِن الوصول إلى أهدافها.

"راحيل ينائيت بن-تسفي – רחל ינאית בן-צבי"

أ – حياتها

وُلدَت "راحيل ينائيت" في عام 1886م لعائلةٍ حسيديّة في مدينة "مالين" (Malin) في أوكرانيا باسم "جولدا ليشانسكي – גולדה לישנסקי"، لكنّها في فترةٍ لاحقة، بَعد هِجرتها إلى فلسطين، غيَّرت اسمها إلى اسم آخَر عبريّ وهو "راحيل ينائيت – רחל ינאית". (חזן, 2012: 429) عاشت طفولتها في منزل جَدّيها، وهناك بَدأت تَستمعُ إلى تَوق جَدّها وجدّتها وحنينهما للقدس، وكذلك للأساطير والخرافات الحسيديّة والعديد مِن القصص حوْل فلسطين. (Kark, 2004: 138) كانت "راحيل" حريصةً على اكتساب العِلم، وفي سِنّ الخامسة عشرة انتقلَت بمفردها إلى مدينة "جيتومير" الواقعة في الجزء الشّماليّ الغربيّ لأوكرانيا وبَدأت تَعمل في إعطاء دروُس خصوصيّة بالعبريّة، وتَدرُس في الجمناسيا اليهوديّة هناك، حيث بَدأت تنمّي مهاراتها في عِلم النّباتات، وبَدأت تنخرط في مجال العمل الشبابيّ الصّهيونيّ. (מלחי, 2020؛ שילה, 1997: 91) وبَعْد الأحداث التي وَقَعت في مدينة "كيشينيف" عام 1903م انتقلَت "راحيل" إلى روسيا وأمضت هناك سنتين 1903 – 1905م حيث أصبحَت ناشطةً ضِمن دوائر حركة المقاوَمة السِّريّة في مدينة "كييف"، واعتقلَتها السُّلطات الروسيّة وقضت فترةً في السّجن. وبَعد إطلاق سَراحها سافرَت إلى ألمانيا لمتابَعة تعليمها الجامعيّ حيث التحقَت عام 1905م بجامعة "فريدريش شيلر" في مدينة "ينا" الألمانيّة، لكنّها واجهَت صعوبةً في إعالة نَفْسها إلى جانب دِراستها. (שילה, 1997: 91) وعندما كانت في التّاسعة عشرة مِن عُمرها شارَكت، ممثِّلةً عن مدينة مالين، في المؤتمر الصّهيونيّ الذي عُقِد عام 1905م في بازل في سويسرا. وفي هذا العام نَفْسه التقت "جولدا ليشانسكي" بـ"إسحاق شيمشليفتش – יצחק שימשלביץ'".(מלחי, 2020) (وهو أيضًا غيَّر هذا الاسم بَعد هِجرته إلى فلسطين ليصبح "إسحق بن تسفي – יצחק בן-צבי"). وفي عام 1906م، في أثناء وجودها في مدينة "بولتافا" الواقعة في الشّمال الشّرقيّ مِن أوكرانيا، كانت مِن بيْن مؤسِّسي الحزب الإشتراكيّ "عُمّال صهيون – פאעלי ציון"، وفي فترةٍ لاحقة أصبحَت واحدةً مِن أعضاء هذا الحزب الفاعلات في فلسطين. (Kark, 2004: 138)

ب- هِجرتها إلى فلسطين

لقد شكّلت عمليّة الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين المحرّك الأساسيّ لعمليّة الاستيطان اليهوديّ. وقد بَدأت أولى هذه الهجرات مع مَطلع العَقد التّاسع مِن القرن العشرين، وبالتّحديد في عام 1881م. تَستذكر "راحيل" في سِيرتها الذاتيّة السّنوات التي سَبقَت هِجرتها إلى فلسطين، والأسباب التي دفعَتها للهجرة، حيث تقول: "في صباح أحد أيام الشّتاء مِن عام 1908م... أحضَر ساعي البريد رسالةً كان أفنر [إسحق بن تسفي] قد بعثها لي مِن فلسطين... تحدَّث فيها عن عيد البوريم في يافا... قفزتُ مِن مقعدي قائلةً: "ما الذي أفعله هنا؟" بَدا لي وكأنّني أسمَع صوتًا واضحًا – "انهضي واذهبي إلى أرض إسرائيل [فلسطين]." (בן-צבי, 1962: 115)

هاجرَت "جولدا ليشانسكي" إلى فلسطين في عام 1908م. ومِن الأعمال الأولى التي عملتها بَعْد وصولها إلى فلسطين عمليّة عبْرنة اسمها ليصبح "راحيل ينائيت" بدلًا مِن "جولدا ليشانسكي". وقد جاء اختيارها لاسم "ينائيت" بسبب إعجابها بالملك "ألكسندر يناي" الذي حَكَم خلال فترة الهيكل الثاني، وكذلك بسبب التّشابه الصوتيّ مع اسم والدها يونا. (מלחי, 2020؛ בן ציון, מיכאלי, 1992: 51؛ שילה, 1997: 95) وحتى بَعْد زواجها مِن "إسحق بن تسفي" حافظَت على اسم عائلتها الذي اختارته لها وأصبَح اسمها "راحيل ينائيت بن تسفي". (מלחי, 2020) وهنا لا بُدّ مِن الإشارة إلى أنّ "راحيل" لَم تَكُن الوحيدة التي انفردَت بتغيير اسمها إلى اسمٍ آخَر، اسمٍ عِبريّ، فقد كان هذا الحال ينطبق على الغالبيّة العظمى مِن المهاجرين الذين سبَقوها في الهجرة إلى فلسطين أو أولئك الذين هاجَروا بَعدها. وقد أشارت المؤرّخة الإسرائيليّة والأستاذة في جامعة بار إيلان، "مارجليت شيلو – מרגלית שילה" إلى أنّ

الهجرة إلى فلسطين، بالنّسبة لأتباع الحركة الصّهيونيّة، لَم تكُن "بمثابة تحقيق حُلم فقط، وإنّما بمثابة ولادة مِن جديد أيضًا." (שילה, 1997: 95) وقد رأت الحركة الصّهيونيّة في إحياء العبريّة أمْرًا أيديولوجيًّا لا يُمكِن التخلّي عنه، ووَظَّفت جميع السُّبل مِن أجْل إخراجه إلى حيّز الوجود. وقد أشار الباحث الفلسطينيّ عبد الرحمن مرعي (2010: 97) إلى أنّ معالم الأيديولوجيّة الصّهيونيّة قد ظَهرَت في اختيار أسماء للأفراد لها صلة بالجذور التّاريخيّة اليهوديّة والثّقافة العبريّة، وانبثقَت سياسة تبديل أسماء المهاجرين الجدد بأسماء عبريّة، وقد استُمِدّ بعض هذه الأسماء مِن العهد القديم.

وبناءً على التّقسيم الزّمنيّ للهجرات اليهوديّة إلى فلسطين فإنّ "راحيل" تنتمي إلى جيل الهجرة الثانية (1904م – 1914م). وكانت مِن أوائل المهاجرين خلال هذه الهجرة، التي تعدّ الفترة التكوينيّة للاستيطان اليهوديّ في فلسطين؛ فبالنّظر إلى أعداد المهاجرين ضِمن هذه الهجرة، الذي فاق الهجرة الأولى عَددًا، وبالنّظر إلى الأعمال التي عملها أبناء هذه الهجرة مِن أجل تثبيت دعائم الاستيطان اليهوديّ في فلسطين يُمكِن القول "إنّ هذه الموجة كانت مِن أهمّ الموجات في تاريخ الاستيطان اليهوديّ في فلسطين، وهي التي ألهبَت الصّراع العربيّ الإسرائيليّ." (سالم، 2002: 8)

بَعْد وصولها إلى فلسطين استقرَّت "راحيل" في القدس، شأنها شأن غالبيّة أبناء الهجرة الثانية. وهناك، وبَعْد التقائها بـ"إسحق بن تسفي"، انضمّ كلاهما إلى مجموعة مِن الشباب اليهود وعاشوا سويّة وأطلَقوا على هذه المجموعة اسم "القدس الجديدة – ירושלים החדשה". بَعْد ذلك، في عام 1908م، بادرَت "راحيل" بالاشتراك مع "اسحاق بن تسفي" إلى إقامة مَدْرسة عبريّة جديدة "جيماناسيا هرتسيليا – גמינסיה הרצליה" في حَي "رحافيا" في القدس، وكانت هي نَفْسها مِن معلِّمها البارزين، وأنشأا كذلك بإنشاء صحيفة عبريّة جديدة باسم "الاتّحاد – האחדות". (מלחי, 2020) وفي عام 1909م شاركَت "راحيل وإسحق بن تسفي" في الاجتماع التأسيسيّ لمنظَّمة "هشّومير – השומר" الذي عُقِد في القدس، وجرى قبول عضويّتها في هذه المنظَّمة التي كانت تَهدف إلى تنظيم عمليّة حِراسة المستوطَنات اليهوديّة في فلسطين مِن قِبل اليهود أنفسهم، حيث كانت مَهمّة حراسة هذه المستوطَنات، حتى ذلك الحين، تُدار مِن قِبل حرّاس ليسو يهودًا. (שילה, 2013: 13؛ وهب الله، 1982: 61) وفي عام 1911م قدّمَت "راحيل" استقالتها مِن التّدريس في مدرسة "جيمناسيا هرتسيليا" في القدس، وسافرَت إلى فرنسا لدراسة الهندسة الزراعيّة في جامعة نانسي، اعتقادًا منها بضرورة إعداد نفْسها على نحو احترافيّ لتعزيز الاستيطان الزراعيّ في فلسطين، وقد عادت عام 1914م إلى فلسطين بَعْد أنْ أنهت دِراستها الجامعيّة وحصَلَت على درجة البكالوريوس في الهندسة الزراعيّة. (שילה, 2013: 13؛ Kark, 2004: 142)

ج – نشاطها السّياسيّ

بَعْد أنْ وصلَت راحيل إلى فلسطين عام 1908م، أصبحَت واحدةً مِن زعماء منظمّة "هشّومير - השומר"، التي كان غالبية أعضائها ينتمون إلى "عمّال صهيون – פועלי ציון"، أكبر أحزاب الهجرة الثانية، وانضمّت فيما بَعد إلى الحركة العماليّة النسائيّة "תנועת הפועלות". كما عملَت في هيئة تحرير الصّحيفة الاشتراكيّة "الاتّحاد - האחדות"، وهي الصّحيفة النّاطقة باسم منظمّة "عمال صهيون". وبَعْد الحرب العالميّة الأولى أصبحَت "راحيل" مِن مؤسّسي "اتحاد العمل – אחדות העבודה"، (Kressel, 2007: 395) الذي اتَّحَد بدوره، سنة 1930م مع حزب "العامل الفتي – הפועל הצעיר"، وهو يعدّ أوّل حزب صهيونيّ يقيمه مهاجرو الهجرة الثانية في فلسطين سنة 1905م، وشَكّلا معًا حزب مباي (حزب عمال إسرائيل – מפא"י). (وهب الله، 1982: 39؛ 64)

بَعْد عشرة أعوام على وصولها إلى فلسطين وانخراطها في العمل الحزبيّ والسياسيّ، وبَعد أنْ أنهت دِراستها الجامعيّة، تزوَّجَت "راحيل" مِن "إسحق بن تسفي"، وكان ذلك في عام 1918م بَعد علاقةٍ قويّة جمعَتْهما منذ وصولها إلى فلسطين. وكانت "راحيل" قد تَعرَّفت على "إسحق بن تسفي" قبْل هِجرتها إلى فلسطين، حيث قابلَته لأوّل مَرّة في عام 1904م في روسيا وذلك خلال الاجتماع التأسيسيّ لحركة "عمال صهيون – פועלי ציון". (שילה, 1997: 92) وبَعد هِجرتها إلى فلسطين، أصبحَت مِن مؤسّسي الحركة العمّاليّة الأوائل وأيديولوجيّتها الاشتراكيّة، وبرنامجها، ومؤسَّساتها، حيث كانت عضوةً في حزب "عمال صهيون – פועלי ציון " وفي "اتّحاد العمل – אחדות העבודה " وفي النّقابة العامة للعمّال "الهستدروت - ההסתדרות". (מלחי, 2020) كما ساعدت "راحيل"، خلال الحرب العالميّة الأولى، في تجنيد متطوّعين مِن المستوطنين اليهود في فلسطين في صفوف الجيش البريطانيّ، وسَعت كذلك خلال لقائها مع الجنرال "ألِنْبي" (Allenby) إلى إقناع البريطانيّين بقبول متطوّعات يهوديّات محارِبات في صفوف البريطانيّين. (חזן, 2012: 447 - 448) وبَعْد انتهاء تلك الحرب، أصبحَت فلسطين تحت الانتداب البريطانيّ، وطَلب البريطانيّون مِن اليهود انتخاب هيئة تمثِّل جميع أطياف اليهود في فلسطين، وقد عُرِفَت هذه الهيئة، فيما بَعد، باسم "مجلس المنتَخَبين – מועצת הנבחרים"، وكانت "راحيل" مِن بيْن المنتَخَبين ضِمْن هذا المجلس الذي مَثَّل الاستيطان اليهوديّ أمام سُلطات الإنتداب البريطانيّ. (מלחי, 2020) بالإضافة إلى ذلك، كانت "راحيل" ناشطةً في مجال عمَل المنظَّمات النّسائية، فقد نظّمت "مجلس العاملات - מועצת הפועלות"، وكان الدّور الأساسيّ لهذا المجلس هو الاهتمام بكلّ شؤون النّساء اليهوديّات العاملات في فلسطين. (מלחי, 2020) وفي عام 1920م أسَّست مَشْتلًا في القدس تطوَّر فيما بَعْد إلى جمعيّة نسائيّة كان لها أدوار كثيرة في العمل النسويّ في فلسطين. (Kark, 2004: 140)كما أسَّست في هذا العام نَفْسه مَدْرسة ثانويّة زراعيّة للإناث في "تلبيوت – תלפיות" – إحدى ضواحي القدس - وكانت "راحيل" أوّل مديرة لهذه المَدْرسة. Kressel, 2007: 395) وبين عامي 1925 – 1927م استلهمَت فكرة تأسيس منظَّمة النّساء الصّهيونيّات الرّائدات في أمريكا وكندا، وهي منظَّمة شبيهة بمنظَّمة النّساء العاملات في فلسطين. (Kark, 2009)وفي عام 1920م جرى حَل منظَّمة "هشّومير" وأُقرَّ إنشاء منظَّمة "الهاجاناه - ההגנה" لتَحلّ محلّها، وقد شَكّل أعضاء منظَّمة

"هشّومير" النواة لمنظّمة "الهاجاناه"، (وهب الله، 1982: 63-64) وبذلك أصبحَت "راحيل" عضوةً فاعلة فيها، وكانت واحدةً مِن قادتها الرّئيسيّين في القدس. كما شاركَت عام 1924م في اغتيال "يعقوب إسرائيل دي هان - יעקב ישראל דה האן" المناهِض للحركة الصّهيونيّة، وهو شاعر وصحافي مرموق مِن مواليد هولندا ومِن زعماء "أغودات يسرائيل – אגודת ישראל"، وقد حاوَل إقامة جبهة "يهوديّة – عربيّة" ضِدّ المشروع الصّهيونيّ في فلسطين، اعتقادًا منه بالضّرر الذي تجلبه الصّهيونيّة على اليهود أنْفسهم. (العلوجي، 2010) بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت "راحيل" واحدةً مِن بيْن سبعة أعضاء خَدَموا في لجنة المتطوّعين اليهود في اللّواء اليهوديّ الذي شكّلتْه الحكومة البريطانيّة خلال الحرب العالميّة الثانية، وذلك بهدف القتال إلى جانب الحُلفاء في تلك الحرب. (בן-ששון, 1964: 498) وفي عام 1928م أنشأَت "راحيل" "مزرعة النّساء العاملات – משק הפועלות" في جنوب القدس. (Kressel, 2007: 395؛ חזן, 2012: 450) وفي عام 1933م، وبسبب الحاجة إلى استيعاب المهاجرين القادمين مِن ألمانيا النازيّة خلال ما عُرِف باسم "هجرة الشباب – עליית הנוער"، تحوَّلَت هذه المزرعة إلى مرْكز لتدريب الفتيات المهاجرات. وفي أعقاب حرب عام 1948م أسّست راحيل "القرية الزراعيّة للمهاجرين" وذلك على أنقاض قرية عين كارم بالقرب مِن القدس، ويُطلق عليها اليوم اسم "المدرسة المحليّة الزراعيّة عين كارم – בית הספר האזורי חקלאי עין כארם". (מלחי, 2020) وخلال أربعينيّات القرن العشرين لَعبَت "راحيل" دورًا بارزًا في تشجيع الفتيات اليهوديّات في لبنان والعراق على الهجرة إلى فلسطين وذلك مِن خلال خطاباتها الموجَّهة لهنّ، واللّواتي لعبْن فيما بَعْد دورًا هامًّا في مساعدة أبناء طوائفهنّ على الهجرة إلى فلسطين. كما واصلَت "راحيل" نشاطاتها في تشجيع يهود العالَم على الهجرة إلى فلسطين. (מלחי, 2020) بالإضافة إلى ذلك، فقد بذلَت "راحيل"، خلال هذه الفترة، جهودًا كبيرة في عمليّة استيعاب المهاجرين ضمْن ما عُرِف بـ"الهجرة الجماعيّة – העלייה ההמונית"، التي جاءت خلال السّنوات القليلة الأولى التي تلت قيام "دولة إسرائيل". وبَعْد أنْ أصبَح زَوْجها، "إسحق بن تسفي"، الرّئيس الثّاني لـ"دولة إسرائيل" في عام 1952م، لعبَت "راحيل" دورًا نشطًا بصفتها السّيّدة الأولى، وبَدأَت مساعَدَته في أعماله الرّسميّة، وعَملَت على نحو خاص على جَعْل مَنزل الرئيس مكانًا لِلّقاءات الشّعبيّة لجميع طوائف المجتمَع الإسرائيليّ. وفي عام 1963م تُوفي زَوْجها، وتخليدًا لذكراه أُقيمت مؤسَّسة حكوميّة أُطلِق عليها اسم معهد "يد بن تسفي – יד בן-צבי"، ويُعنى هذا المعهد بإجراء أبحاث ودِراسات تتعلّق بتاريخ الاستيطان اليهوديّ في فلسطين وتاريخ الطّوائف اليهوديّة في الشّرق الأوسط، وكانت "راحيل" عضوةً ناشطة في هذا المعهد حتى وفاتها. وما زال هذا المعهد قائمًا حتى اليوم، ومقرّه مكان سُكنى "راحيل" وزَوْجها في القدس، وهو يشكِّل واحدًا مِن المعاهد الإسرائيليّة الهامّة. (Kressel, 2007: 395) كما نَشطَت في مجال وضْع المرأة في المجتمَع، وذلك مِن خلال التّعليم والعمل التطوعيّ في المجالين السّياسيّ والعام، ونظرًا إلى مساهَمتها الفاعلة في المجتمَع الإسرائيليّ فقد حصلَت على جائزة إسرائيل في عام 1978م. توفيَت راحيل عام 1979م ودُفنَت في القدس. (Kark, 2009)

د – كتاباتها

كانت "راحيل ينائيت بن تسفي" شخصيّة محوريّة وإحدى النّاشطات الرّائدات في حركة الاستيطان اليهوديّ في فلسطين، وكانت كاتبةً غزيرة الإنتاج؛ ألَّفَت عشرة كُتُب، وشاركَت في تحرير ستّة كُتُب أُخرى. بالإضافة إلى ذلك، فقد نَشرَت أكثر مِن خمسمائة مقالة وملاحَظة. (Kark, 2009) كما شاركَت في تحرير كتابات زوْجها التي بَدأَت بالظّهور في عام 1965م. (Kressel, 2007: 395)

ترجمة القِصّة إلى العربيّة: بدو مِن أصل يهوديّ

كنّا نَشقّ طريقنا باتجاه وادي موسى. وخلال عبورنا بمنطقةٍ مستويةٍ بكلّ الاتّجاهات، بَدأَت سلسلة جبليّة تَظهر في الأفق، كانت مدهشة بلونها المحْمرّ، بَدا لنا وكأنّ الجبال تهدّدنا مِن بعيد.

بَدأ الطريق ينحدر على نحو تدريجيّ، وبدأَت الهضبة تتحوّل إلى سهلٍ واسعٍ ينخفض شيئًا فشيئا، وبات بالإمكان رؤية بعض المباني التي بَدأت تلوح مِن بعيد. بَدأنا بالدّخول إلى وادي موسى. على يسارنا قرية جي "ג'י"[المقصود هنا هي قرية "إلجي"، لكن يبدو أنّ الكاتبة قد أخطأَت في كتابة هذا الاسم لأنّها اعتمدت على سماعها للفظة. وقد كانت هذه القرية محطّة الرّحّالة السويسري "يوهان بيركهارت" (Yohann Burckhardt) عند اكتشافه للبترا حيث أقام فيها وكان دليله للبتراء مِن اللّيّاتنة سُكّان إلجي، وقد وَرَد اسمها في النّقوش النّبطيّة على أنّه "جيا أو قيا" التي تعني الوادي الحَسَن الغنيّ بالأشجار، كما يُمكِن أنْ يكُون "جيا" اسم أحد آلهة الأنباط، لأنّه وَرَد في نقوش الأنباط اسم "عبد جيا". وتَقع إلجي في وسَط مدينة وادي موسى، التي أثبَتت الحفريّات أنّها مركز المدينة مِن أوائل مراحل الإستيطان النّبطيّ للمنطقة. وتعدّ إلجي أكبر قُرى وادي موسى التّقليديّة، لكنّ الجزء الأكبر منها تمّت إزالته واستُبدِلت البيوت بمبانٍ حديثة. أنظر: (الفلاحات، 2021: 72-73)]: أكواخ طينيّة، ومباني حجريّة متفرّقة وعَدَد مِن خيام البدو. كانت المنطقة المحيطة بالقرية مخضرَّةً تكسوها أشجار الفاكهة والخضروات والحبوب. ويَنعم المكان بوفرة المياه.

أصبحنا في وادي موسى، داخل الوادي المؤدّي إلى الصخرة الحمراء [يُطلِق الإسرائيليّون على البترا اسم "الصخرة الحمراء – הסלע האדום"؛ وذلك بسبب لوْن الصّخور المحفورة فيها. امّا أهالي منطقتَي البترا ووادي موسى فيُطلِقون عليها اسم "المدينة الوردية"؛ للسّبب نفْسه.] يُسمّي العرب المنطقة كلّها باسم وادي موسى. حتى البترا يسمّونها وادي موسى. الاسم جي (ג'י) يُذكّرنا بالاسم "جيئات، جيئات ريقم" (גיאת, גיאת רקם) [وَرَد هذا الاسم في كتاب " آثار اليهود – קדמוניות היהודים" لمؤلّفه المؤرّخ اليهوديّ الذي عاش في القرن الأول الميلاديّ، "يوسف بن متتياهو – יוסף בן

מתתיהו" المعروف أيضًا باسم "يوسيفوس فيالفيوس – יוספוס פלויוס"، حيث يشير إلى أنّ "جيئات رقم – גיאת רקם" هو اسم عبريّ قديم يُطلقه البدو في منطقة وادي موسى على مجرى الماء المؤدّي إلى الصّخرة الحمراء (البترا). (בן מתתיהו, 2002: 125).] وقد بقيَت هنا الأسماء التاريخيّة على لسان البدو، منذ أيام انتقال بني إسرائيل في الصّحراء. هناك قبيلتان مِن أصْل يهوديّ تَسكن في وادي موسى: البدول واللّياثنة. وقد أَحصى جون ويلسون [John Wilson (1804م – 1875م). هو رحّالة إنجليزيّ. وقد زار البترا عام 1843م. (أبو دنة، 2015: 146)]، الذي زار قرية جي في عام 1843، بجانب الأكواخ الطّينيّة حوالي مئة خيمة لأبناء اللّياثنة والبدول. هل مازال هناك العديد مِن البدول واللّياثنة حتى اليوم؟ نحن مشتاقون لرؤيتهم. بن تسفي حريصٌ على التحدُّث إليهم، واستكشافهم.

ما إنْ وصَلنا إلى وادي موسى حتى توجّهنا مباشرةً إلى مركز الشُّرطة. صوْت الماء يرتفع في آذاننا، عيْن الماء قريبة. وُفرة المياه تروي الأرض. الأشجار متفتّحة، والحدائق مزهرة. استقبلَنا رجال الشُّرطة بالتّرحيب. هُم معيَّنون هنا للحراسة ولاستلام ضريبة الدّخول إلى البترا. كان بيْن رِجال الشُّرطة شُرطيّ دُرزيّ وآخَر شَركسيّ. بدأ بن تسفي حديثه مع الشُّرطيّ الشّركسيّ، بلغة عربيّة متبَّلة بالتّركيّة، وكان يسعى جاهدًا إلى الحصول على معلوماتٍ حوْل البدو في هذه المنطقة. وفجأةً اختلس بَدويٌّ النّظر إلى مَركز الشُّرطة وقدّمه الشُّرطيّ إلينا: ها هو أحد أبناء عشيرة البدول. حدّقتُ في ذلك البدويّ: وجْهه نحيف، وشَعره الأشعث يتدلّى على أذنيه وعلى عنقه. إنّه يُذكِّرني بإخواننا مِن يهود اليمن، شيء قريب، عرقيّ. أراد بن تسفي أنْ يَستخلِص منه شيئًا ما مِن خلال حواره معه، فوجّه إليه وابلًا مِن الأسئلة (السؤال تلو الآخَر)، لكنّ ذلك الرَّجل بَدا وكأنّه تجمّد، كان يُهمهِم بشيءٍ ما ويَصمت. أخائفٌ هو مِن شيءٍ ما، أيُخفي شيئًا ما؟ وقد يكُون نَسِي ماضيه؟ كان يَنظر إلينا بضبابيّة غبيّة. مسكين وبائس هو، ليس لديه أيّ شيء مِن الطّابع الصّحراويّ للبدو. اتّضح لي في تلك اللّحظة، بنوع مِن اليقين الذي لا أَفهمه، أنّ هذا هو حال إخواننا البعيدين – بائسين، ذليلين، إلى الحدّ الذي اختفت فيه ملامح البدويّ النموذجيّ. بدو المنفى.

أسرَعنا باتّجاه البترا – لنَرى مدينة العجائب. لكن لا يُمكِن الدّخول إلى البترا باستخدام السيّارة. لذلك توجَّب علينا إبقاء السيّارة بأيدي الشرطة، وأنْ نُكمل طريقنا سيرًا على الأقدام، ونمتطي الخيل قليلًا. لا نستطيع استئجار الخيول لنا كلّنا، واكتفينا بفرسٍ واحدة وحمارٍ واحد، بشرط أنْ يرافقنا مالِك الفرس كمرشِد. في هذه الأثناء تَمكَّن "وردي - ורדי" و"ليفي - לוי" مِن جَمْع بعض الأغصان الجافّة، وذلك لإشعال النار وغلي الماء بالإبريق. تناوَلنا طعامنا على عَجَل. حَمَّلنا أمتعتنا القليلة على الحمار، كانت هذه الامتعة أكياس نوم، وبطانيّات خفيفة ومؤونة للطّريق، وبَدأنا طريقنا باتّجاه البترا. بَدأنا نَسير في طريقٍ بين البساتين، صديقي سيرًا على أقدامه، وأنا على ظهْر الجواد، وفي الطّريق سنتبادل الأدوار. بَدأَت أعيُننا تنجذب باتّجاه أشجار الفاكهة بمختلَف أنواعها وباتّجاه محاصيل الخضار المزروعة بيْن تلك الأشجار. الأرض هنا جيّدة، وهناك وُفرة في المياه، ويبدو منظَر المكان كالواحة. بَدأنا نَسير باتّجاه سلسلة الجبال تاركين البساتين وراءنا.

كان البدويّ الذي يرافقنا يُمسِك بلجام فرَسه. بَدأَت رغبة بن تسيون في اكتشاف بقايا بني إسرائيل بَيْن البدو تنتقل إليّ أنا أيضًا، فسأَلْتُ: "هل أنتَ مِن البدول؟"

"مِن البدول".

مَرّةً أُخرى حاوَل بن تسيون التّأكيد على ما قاله سابقًا. ليس هناك أدنى شَكٍّ - قال بن تسيون – أنّ قبيلة البدول هي مِن أصْل يهوديّ. الاسم نَفْسه "بدول" يشير إلى أنّ هذه القبيلة تختلف عن القبائل العربيّة. تذكّرنا ما قالته السيدة م. أ. روجرز، التي تؤكِّد أنّ اللّياثنة الذين يجوبون البترا وما حوْلها هُم فلاّحون أكثر مِن كوْنهم بدوًا، لكنّ الشيء الأساسيّ – أنّهم نموذج يهوديّ.

أراد بن تسيون أنْ يتحقّق مِن جوهرهم: إلى أيّ مدى بقي لديهم شيءٌ مِن يهوديّتهم. سواء في عاداتهم، أو في علاقاتهم العائليّة. وكان يطمح أنْ يَصِل إلى جذورهم الأصليّة: إذا ما كانوا مِن أحفاد الأسباط اليهوديّة في خيبر، أو إذا كانوا أقدم مِن ذلك – ربّما يكُونون مِن أحفاد اللاّجئين الذين قدِموا مِن أرض يهودا إلى الشّقوق الصّخريّة، وربّما يَكُونون مِن بقايا يهود المستوطَنات في الصّحراء وعلى ساحل البحر الأحمر، الذين تعرّضوا للضّغط والاضطهاد مِن قِبل جيرانهم المسلمين، وهَرَبَت بقيَّتهم إلى الصّخرة الحمراء.

كنتُ مصغيةً لحديث بن تسفي ولَم أَشعر بوصولنا إلى مَدخل البترا. تجلّى أمامنا مشهدٌ رائع: وكأنّ الجبل انشقَّ هنا، كما لو كُسِر إلى نصفين، برزَت الأضلاع المستقيمة مِن كلا الجانبين، شاهقة الارتفاع. بيْن هذه الأضلاع – مَمَرّ ضيّق يؤدّي إلى الصّخرة الحمراء. رونق الماضي (عبق الماضي) يغطّي هذا الممر. هل تَشكَّل هذا الممر مِن تلقاء نَفْسه، أمْ أنّ البشر حَفَروه داخل الجبل؟ كانت عيناي تراقِبان هذه الأضلاع التي تُشعّ بجميع ألوان قوْس قُزح. كان الضّوء يَخترق مِن الأعلى وينعكس على الأضلاع مِن الداخل، ألوانٌ مختلفةٌ للرّمل: الأحمر بكلّ ظلاله (درجاته). أحمر ومحْمر، غامق وفاتح، أحمر كالخشخاش المُزهر، أحمر كالدّم السائل، والأحمر الممزوج بالورديّ وكذلك الورديّ اللاّمع بكلّ ظلاله (درجاته): كالوردة في بداية تفتُّحها، كالوردة التي تفتّحَت وبدأَت بالذبول... وظِلّ مُشرق (خفيف) كالحليب، كبشرة الطّفل الرقيقة، لوْنٌ جميلٌ كوجه فتاةٍ جميلة – مجموعةً متنوعة مِن الألوان كقطعة حرير حِيكَت بيد فنّان.

ترجّلتُ عن ظَهْر الفَرَس وقد سحَرني ما تَراه عيناي، وتابعتُ سيري على الرّمل الملوَّن الذي تراكَم في الممر. ومِن الأعلى ظَهَر شريط السماء الأزرق. قِمم الجبال مِن الجانبين اقتربَت مِن بعضها البعض، وكأنّ إحداها تلامِس الأُخرى. واصلنا مسيرنا بصمت. الغموض يلوح في الأفق حوْلنا. الجدران منحدرة ومستقيمة. وها هي السّماء الزّرقاء تتّسع وتنكشف مرّة أُخرى. على الجانبَين هياكل محفورة في الصّخر، مبانٍ قديمة، شواهد وقبور. قبور محفورة فوق بعضها البعض. وما هو هذا الشيء – ربّما قبْر، ربّما نُصب تذكاريّ؟ كَم كانت تلك المباني فاخرة. العديد والعديد مِن القبور، قبور مسطّحة وأُخرى على شكْل أهرام. هل تشكّلَت هذه القبور ذات مَرّة، أمْ أنّها كانت مجرَّد قبور للموتى نُحتِت في الجبل؟ فجأةً سَمعتُ صوْت صرخات طيور، سِرب مِن الغربان التي تُرافق الموتى حَلَّق ومَرّ فوق رؤوسنا.

بَدأ الممر يتّسع أكثر – وعلى جانب الجبل تَظهر بقايا قناةٍ مائيّةٍ قديمة – كما ظَهرَت أيضًا بقايا أقواس جِسر – قد يَكون ذلك لأنّهم كانوا يَنقلون المياه مِن جهةٍ إلى جهةٍ أُخرى. أَخَذ الممر يتّسع أكثر وأكثر وظَهَر أمامنا معبَدٌ منحوتٌ في الجبل، معْبَد بكامل رونقه. الجبل كلّه شَكَّل هذا المعبد – إنّها الخزنة. المعبد كلّه ذو لونٍ ورديّ. ضوء كثير انعكس على واجهة هذا المعبَد، الواجهة كلّها تُشعّ كاللّهب. هذا البناء الفاخر مكوَّن مِن طابقين، وهندسَته المعماريّة ذروةُ الفن. المعبَد كلّه منحوت داخل الصّخر الرّمليّ في قلْب الجبل، والأعمدة فقط، تقف ضخمةً مِن الأسفل ومِن الأعلى كانت منحوتة مِن أرضية الجرانيت الموجودة في الجبل. أعمدةٌ وأساسات، تيجان وأكاليل، أقواس (قناطر) وأركان – تكاملٌ فنيٌّ لأسلوبٍ هندسيّ قديم وأسلوب هلينيستسيّ-رومانيّ كلاسيكيّ يتخلّله شيء مِن الأسلوب الشّرقيّ. بَدأتُ أَنظر إلى الأعلى، يَرتفع المَعبد عشرين مترًا. وبيْن الأعمدة هناك منافذ – وكأنّها فتحات تؤدّي إلى داخل الجبل، وفي هذه الفتحات هناك تماثيل لشخصيّات أسطوريّة – ضبابيّة وبالية. الخيال وَحْده يخمّن طبيعتها... عوامل التّعرية كان لها أثَرها في هذه التّماثيل وأفسدَت صُورتها. لكن ألا يُمكِن أنْ نَرى في ما تبقّى مِن التمثال الموجود على الجهة اليمنى صورة امرأة تركَب جَملًا؟ لكن فقط نهاية ذنَب الجَمل بقيَت، وخُفّ قَدَم الجَمل ما زال واضحًا في التّمثال.

ازداد تعبُنا. وبَدأَت أعيُننا تتجوّل وتَمرّ فوق المساحة الواسعة. تبدو وكأنّها فوّهة بركان، بركان ضخم، تحيطه الجبال. وفي هذا اللّحظة أضاءت الصّخور بكلّ ظلالها (ألوانها)، لقد تداخلَت آخِر أشّعة الشّمس وكأنّها مصراع على رؤوس المعابد. وهنا بَدأَت الشّمس بالاختفاء خلْف الجبال مِن جهة الغرب، ثمّ اجتمعَت ألْسنة اللّهب المتوهّجة على جوانب الجبال، وجَمعَت الجدران نورها، وانطفأَت الأضواء. فجأةً انتهى النهار وبدأت الظلال تنبسط، وظَهَر الشّفق. بدأنا نمرّ بين الأنقاض واخترنا مكانًا يكفي لأربعتنا لنقضي فيه هذه اللّيلة، كان هذا المكان يقع بجانب تمثال آيل للسّقوط. وفي الجهة المقابِلة لنا، على الجانب الآخَر للجبل، وعلى مساحةٍ أكبر مِن مساحتنا، كانت هناك خيمةٌ منصوبةٌ لمجموعةٍ مِن السّياح. ذهَبَ "أفنر" مع ابن البدول ليُحضرا الماء مِن أحد الآبار القريبة. وفي هذه الأثناء بَدأْنا نَجمع الحطب. بَعْد قليل سيصبح الشّاي جاهزًا. لقد شاركَنا ابن البدول طعامنا، وبَدأَت نظراته تلين باتجاهنا، وكأنّه تأثّر في النّغمة الاجتماعيّة التي عامَلناه بها. مَرّةً أُخرى حاوَل بن تسفي أنْ يواصِل حديثه مع ذلك البدويّ، ولكن دون جدوى. هل هذا البدويّ غبيّ؟ أم أنّه يَرفض الإجابة فقط؟ لقد بقيَت الأسئلة دون أجوبة.

أزداد الظّلام، ودخَلنا نحن إلى أكياس النّوم.

كنتُ متأثّرةً جدًّا مِن شِدّة انطباعاتي منذ دخولي إلى "السّيق"، كما كنتُ أسعى جاهدةً للاسترخاء والتفكير بهؤلاء البدو، البدول واللّياثنة – هل هم حقًّا من أصل يهوديّ؟ بدأ الظلام يخيّم حولنا، وبدأتُ أحدّق مرّةً أخرى في بقايا الأنقاض وأفكّر في بقايا الأسباط (العشائر). تُرى هل ما زال بهم شيء ما يهوديّ؟ تذكّرتُ ما قرأتُه مِن أقوال الباحثين قبْل أنْ نَبدأ رحْلتنا. ولعلّ أكثر ما تأثّرتُ فيه هي تلك الكلمات التي قالها الباحث جون ويلسون. في حقيقة الأمر هناك باحثون أوروبيون كُثر زاروا البترا قبْل ويلسون، لكنّه اهتمّ على نحو خاص ببقايا الأسباط (العشائر) التي تقطن في هذه المنطقة، وقد حُفِرت كلماته في ذاكرتي. لقد ذَكَر ويلسون حواره مع البدو عند مداخل وادي موسى، حيث شَعَر بشيءٍ مميَّز فيما يتعلّق بمظهرهم وبلباسهم، كما تحدَّث ويلسون أيضًا عن حديثه مع الشّيخ الذي ترك لديه انطباعًا وكأنّه يعود إلى أصولٍ يهوديّة. لقد دعا ويلسون الشّيخ ومرافقيه إلى خيمته وسألهم:

- "هل تَرون أنفسكم قبيلةً عربيةً مميَّزة؟"

أجابه الشّيخ:

- "لا، نحن ولاد بني إسرائين" (لا، فنحن مِن بني إسرائيل).

وقد أشار ذلك البدويّ إلى المنطقة الشّماليّة-الغربيّة على أنّها منطقة توقُّف بني إسرائيل، في حين أنّ المباني والقبور التي حُفِرت في منطقة وادي موسى هي مشتَركةٌ لبني إسرائيل، وللتركمان وللنّصارى، ولليونان وللرّومان أيضًا. ووفقًا لكلام الشّيخ، فقد كان السّكان الأوائل لوادي موسى هُم مِن أبناء سبط جاهليٍّ مِن محتلّي المكان قبْل مجيء محمد [صلى الله عليه وسلّم]؛ وبَعدهم جاء بنو إسرائيل إلى المنطقة وذلك خلال عَهْد موسى. وفيما بَعد اعتنَق بنو إسرائيل الإسلام. وحوْل سؤال ويلسون، فيما إذا كان لديهم أيّة وثائق حَوْل أصلهم، أجاب الشّيخ إنّه لا يوجَد لديهم أيّة وثيقةٍ وإنّه

لا يوجَد بينهم مَن يُجيد القراءة. هم لا يتزوّجزن مِن العرب وإنّما يتزوّجون فقط مِن بني إسرائيل، الذين يَسكنون في الجبال المجاورة وفي جبل السافة الذين يأتون إليهم في مواسم الحَرّ. وقد حاوَل ويلسون أن يتتبّع أسماءهم، واتّضَح له بأنّ الكثير مِن الأسماء العبريّة ما زالت شائعةً لديهم (لكن بلهجةٍ عربية)، ومِن هذه الأسماء: موسى، وداود، وسليمان، ويعقوب، ويوسف، وإسحق، وناحوم وغيرها – ومِن أسماء الإناث: مريم، وليئاه، وهاجر، وعيده، وبسومت، وغيرها...

رغْم أنّنا لَم نستطع الحصول على أيّة معلومةٍ مِن أبناء البدول، لكننا رأينا أنّ ملامح وجوههم تُشْبه الوصف الذي قدّمَه عنهم ويلسون. كثيرون بينهم – لهم جدائل على أصداغهم، وهناك تشابُه بينهم وبين يهود اليمن وبومبي. كان "ويلسون" يَعتقد أنّ هؤلاء البدو هم أبناء عيسو؛ "بامر" [لَم يَجِد الباحث أيّ مستشرِق أو رحّالة بهذا الاسم، لكن يبدو أنّ المقصود هنا هو المستشرق الإنجليزيّ "إدوارد هنري بالمر" (Edward Henry Palmer) (1840م – 1882م)، الذي كان أحد عملاء الاستعمار البريطانيّ، بالإضافه لنشاطات أُخرى مِن بينها دِراسة تاريخ اليهود ودِراسة جغرافيّة المنطقة العربيّة. لمزيد مِن التّفاصيل انظر (بدوي، 1993: 67 – 71)]، في مقابل ذلك، يعتقد أنّ أبناء البدول هُم بقايا سبط بدويّ يهوديّ، سبط كعب، الّذي جاء مِن خيبر ليستقرّ هنا بَعد أنْ سيطَر الإسلام. لقد زار "بامر" هذا المكان في سنوات السبعينيّات، أيْ بعْد مرور حوالي عشرين عامًا على زيارة ويلسون، وهو يصفهم بأنّهم فقراء بائسون، لكنّه وَجَد بينهم أيضًا المئات ممّن يَحملون السّلاح، وبدوا له شجعانًا واليوم، بَعْد مرور حوالي سبعين سنةً تقريبًا، كم هو بائسٌ وذليلٌ مظهر هؤلاء البدو! كم كانا ضعيفيْن ومعوزيْن، الاثنين اللذيْن رأيناهما اليوم مِن أبناء البدول!

واصلتُ تفكيري في بقايا البدو اليهود، وتذكّرتُ ما قاله البيك باشا، قائد البترا في الماضي غيْر البعيد. لديّ أقوال بن تسفي حوْل هذا الموضوع، وقد عدتُ وقرأتها هذا الصّباح. تحدّث البيك باشا بأنّه مَرّ (عبْر) ذات مرّة مِن الجزء الموحش للممر المؤدّي مِن "السّيق" إلى داخل البترا، وفجأةً لاحَظ رأس إنسان بين الصّخور، أمعنَ النّظر فرأى رأس آخَر ثمّ رأس آخَر – بَشَر بين الصّخور ووجوههم خائفة. وما إنْ زَكّر نظَره باتّجاههم، حتى ابتعَدوا وهرَبوا. سأل الشّيخ الذي كان يرافقه، مَن هُم هؤلاء الذين يَبدون كالغزلان؟ أجابه الشّيخ: هؤلاء هُم أبناء البدول، هذه هي العشيرة المتوحّشة التي تَسكن في هذه المنطقة، هُم عُراة، ما عدا جلود الحيوانات التي تُغطّي خواصرهم، ويمتنعون عن الاقتراب إلى البشر. أمَر البيك باشا فيما بَعْد بالقبض على بعض هؤلاء المتوحّشين. أُحضِرَ أمامه واحدٌ منهم وكان مظهره مُخيفًا. وبَعْد ثلاثة أيّام، بَعْد أنْ أطعمه، بَدأ ذلك الشّخص يَثق به، وبَدأ يَقُصّ عليه بأنّهم مضطهَدون مِن قِبَل بقيّة العشائر البدويّة، وكيف أنّهم مضطرّون للاختباء بيْن شقوق الصّخور، وأنّهم مضطهَدون بسبب أصْلهم اليهوديّ.

بقيت هذه الصّورة محفورةً في أعماق قلبي حتى تلك اللّحظة، وفي أثناء استلقائي على أرض الصّخرة الحمراء، تخيّلتُ أنّني أرى شخصيّات تَختلس النّظر مِن الشّقوق الصّخريّة، وتبدو كالحيوانات المطارَدة، شخصيّات اليهوديّ الهائم، بيْن أنقاض الصّخرة الحمراء، شخصيّة اليهوديّ الأبديّ. بدو في المنفى... كيف تمكّنوا مِن تحمُّل هذه الإهانة، ألَم يصمدوا هنا لأجيال كثيرة، واعتُبِروا "أصحاب قوّة" في البترا. لقد رآهم ويلسون أصحاب حقوق في القبور الموجودة في المنطقة. هل صحيح أنّهم اضطُهِدوا خلال الخمسين سَنة الأخيرة، أكثر مِن كلّ الأجيال السابقة؟ هوجِموا، دُمِّروا وتضاءلوا واختفى ذِكرهم، يَجهلون أصْلهم وشعبهم...

منذ أنْ فتَحنا أعيُننا هذا الصباح، كنّا واقفين نَنظر حوْلنا مندهشِين. وتذكّرنا أنّه ينبغي علينا أنْ نأكل شيئًا ما، تناوَلنا طعامنا على عجَل، وفجأةً أحاطنا بدويّ وابنته الصّغيرة. مِن أين ظَهرا؟ فنحن لَم نرَ هنا أيّ مخلوق. وكأنّهما خرَجا مِن شقوق الصّخور. أجرى بن تسفي حوارًا مع هذا البدويّ، رَجُل اللّياثنة (الرَّجل اللّيثيّ) الموجود أمامنا. كنّا نَعلم بالفعل أنّ كلمة لياثنة تعني في اللّغة العربيّة أبناء الأسُود، مِن الجذر ليث – ليش (לִישׁ) باللّغة العبريّة، مِن عشيرة شبل الأسد، إذا جاز التّعبير.

كانت عينا البدويّ تحدّق في رغيف الخبز، وكان يُجيب عن أسئلة بن تسيون بتلعثم. في حقيقة الأمْر، يقول البدو الموجودون في هذه المنطقة إنّ أبناء البدول واللّياثنة هُم مِن أصْل يهوديّ، لكنهم هم أنفسهم لا يَعرفون شيئًا. هل فعلًا لا يعرفون أنّ أصْلهم يهوديّ، أمْ أنهم يتردّدون في الاعتراف بذلك؟ لقد تعاقبَت منذ ذلك الحين ثلاثة أجيال فقط. حتى إنّ كثيرين مِن أبناء البدول واللّياثنة قد أُبيدوا، لا يُعقل أنّهم لا يَعرفون أصْلهم. إلّا إذا كان هؤلاء الناس قد اضطُهِدوا، ووصَلوا إلى مرحلةٍ مِن الضّعف والهوان والانحطاط، كما يصفهم البيك باشا، والآن هُم يَخشون أنْ يتلفظوا بأيّ شيء... واصَل بن تسفي تفحّصه لذلك البدويّ، فعاد وسَأله عن اللّياثنة ولَم يدَعه، لأنّه كان واثقًا أنّ هناك أُصُلًا (أساسًا) للأسطورة التي تتحدّث عن أنّ أصْلهم مِن أسباط بني إسرائيل. كان البدويّ المسكين ينظر إلينا، وبعْد ذلك أخَذ يتلفّت باتّجاه السّياح الموجودين في الجهة المقابلة، باتّجاه الإنجليز. بالتّأكيد سَمِع مِن مرشدنا السّياحيّ أنّنا يهود، وتابَع النّظر إلينا، وفي النهاية قال: "يا مِن الإنجليز، يا مِن اليهود".

مسكينٌ ذلك البدويّ، ومسكينةٌ تلك الطّفلة الصّغيرة التي يَحملها بيْن يديه. وفي هذه اللّحظة شَعرتُ بأنّ هذا البدويّ قريب منّا، بأنّ نصيبنا (حظّنا) ونصيبه متقاربان، رغْم أنّه نَسي ماضيه، وربّما على وجْه التّحديد لهذا السّبب بالذّات...

وهنا على قمّة الجبل يرتفع المعبد الذي يفوق في حَجْمه كلّ المعابد الأُخرى: الدّير. كان منحوتًا بالكامل، وكأنّ الجبل كلّه قد تكوَّن هنا ليشكّل معبدًا. كان هذا المعبد مكوَّنًا مِن طابقين، مثْل الخزنة، ولكنّه أكبر منها في حجْمه وأبعاده، ويُشبِهها في أسلوب نحتِه، إلّا أنّ أسلوبه الفنّي أقدم،

وأسهل وأكثر أصالةً، وهذا ما هو إلاّ الأسلوب النبطيّ، قبْل أنْ يسيطر هنا الأسلوب الهيلينستي-الرومانيّ، وداخل تجاويف الجدران توجَد أصنام غيْر واضحة ومهترئة. وَقفنا بجوار المكان، وأخذنا نَنظر إلى فناء المعبد، ذلك الفناء الذي كانت تأتي إليه الحشود لتجتمع فيه، وتقدّم القرابين للأوثان.

بَدأنا نبتعد عن المَعبد الكبير، وهو أكثر أعمال الأنباط أصالةً، وبَدأنا بالنّظر باتّجاه الجنوب. في الأفق، على الجبال المرتفعة، بَدأَت تَرتفع قمّة الجبل. على قمّة الجبل يُمكِن مشاهدة قُبّة ذات لوْن أبيض. إنّه قبْر هارون الكاهن، وهو مقدَّسٌ مِن قِبَل كُلّ أهْل المنطقة. هل بقي هذا القبر هنا منذ العصور القديمة؟ هل جرى ترميم هذا القبر؟

عبَق الماضي يَحُوم فوق هذا القبر. في فتراتٍ مختلفة اختلف الغزاة الكثيرون فيما بيْنهم. وقد استمرّ أحفاد البدو القُدماء في التّجوّل في جبل سيناء والصحراء – وأبعد مِن ذلك – في وادي موسى. وقد حافَظوا على عاداتهم. والاسم موسى – موشيه، شائعٌ لديهم، وكذلك الاسم هارون – أهرون، قمّة الجبل، المرتفِع إلى السّماء، يحافِظ هنا على التقاليد، والرّوح تحوم هنا منذ العصور القديمة...

الخاتمة والنتائج

تناوَلَت هذه الدِّراسة أحد المزاعم الصّهيونيّة التي حاوَلَت التّرويج لها، وذلك مَن أجْل تثبيت دعائم الحقّ التّاريخيّ المزعوم لليهود في فلسطين والبلاد العربيّة، وقد تمثّل هذا الادعاء في طرْحٍ جديد تبنّاه الكثير مِن المهاجرين الصّهاينة في فلسطين، وهو أنّ أصول غالبيّة الفلّاحين الفلسطينيّين، وكذلك بعض القبائل في شرقيّ الأردن، تعود في نَسَبها إلى أصولٍ يهوديّة. والجدير بالإشارة إلى أنّ الصّهيونيّة سعت، ومنذ نشأتها، إلى استخدام كلّ أنواع التّشويه والتّزوير واختلاق الأكاذيب التاريخيّة التي ترمي مِن خلالها إلى إعطاء اليهود الحقّ التاريخيّ في أرض فلسطين، ولَم تكتفِ بتشريد الشّعب العربيّ الفلسطينيّ بعْد أنْ اغتصبَت أرضه، وإنّما سعت وما زالت تسعى إلى تجريده مِن أصوله أيضًا. وفي هذه الدِّراسة، حاوَل الباحث تسليط الضّوء على واحدةٍ مِن هذه الأكاذيب، التي حاولَت مِن خلالها الكاتبة "راحيل ينائيت بن تسفي" إيهام القارىء بأنّ أصول العشائر التي تقطن في منطقتي البترا ووادي موسى ما هي إلّا بقايا لليهود الذين أُجبِروا على اعتناق الإسلام. وكانت تَهدف مِن وراء هذه الادّعاءات إلى تأصيل الوجود اليهوديّ في هذه المنطقة. وقد توصّلَت الدِّراسة إلى جُملةٍ مِن النّتائج، أهمّها:

- بيَّنَت الدِّراسة أنّ الحركة الصّهيونيّة استخدمَت أساليب شتّى مِن أجْل تحقيق حُلمها في إيجاد وطَن قوميّ لليهود، وإعطائهم حقًا تاريخيًّا في المنطقة، ومِن هذه الأساليب محاوَلتها طمْس عروبة الفلاّحين في فلسطين وكذلك بعض القبائل الأردنيّة العربيّة في جنوب الأردن.
- أكّدَت الدِّراسة أنّ كِتاب "أرض إسرئيل في الماضي والحاضر"، الذي ألّفه "بن غوريون وبن تسفي" في عام 1918م، يُشكّل مَصْدرًا تاثّر فيه غالبيّة مَن جاؤوا بَعدَهما فيما يتعلّق بنظريّة تقارُب الأصول بين اليهود والفلاّحين الفلسطينيّين.
- أوضحَت الدِّراسة كيف بَدأ الصّهاينة ادّعاءاتهم حَوْل وجود رابطة نَسَب بيْن الفلاّحين الفلسطينيّين واليهود منذ بداية القرن العشرين تقريبًا. لكنّ هذه الادّعاءات بَدأَت تقلّ بَعْد الإعلان عن قيام ما يُسمّى بـ"دولة إسرائيل" والحروب والنّزاعات التي تلت ذلك. لكن في الآونة الأخيرة، وخصوصًا خلال العَقدين الأخيرَين، بَدأَت أصوات عديدة تعود إلى هذه الادّعاءات. وقد حاوَل الباحث جاهدًا الوصول إلى الأسباب التي أدّت إلى عودة هذه الادّعاءات خلال العقدين الأخيرين، لكنّه لَم يوفَّق في الوصول إلى نتيجة بهذا الخصوص.
- أكّدَت الدّراسة مدى تأثُّر الكاتبة "راحيل ينائيت" في الأفكار التي تبنّاها "إسحق بن تسفي" فيما يتعلّق بزعمه حَوْل أصول القبائل التي تَسكن في منطقتي البترا ووادي موسى.
- بيَّنَت الدِّراسة أنّ نشاط "راحيل ينائيت بن تسفي" لَم يتوقّف عند الكتابة فقط، وإنّما كانت لها نشاطات كثيرة في ميادين شتى: مجال الزّراعة، والحركة العماليّة، والاستيطان، والهاغاناه، وحقوق المرأة وغيْرها. هذا بالإضافة الى دَوْرها السّياسيّ زوجةً لثاني رئيس لـ"دولة إسرائيل".
- بيّنَت الدِّراسة الدَّور المهمّ الذي لعبَته الكاتبة "راحيل ينائيت" في عمليّة استيعاب المهاجرين سواء خلال فترة "هجرة الشباب"، أو لاحقًا بَعْد تأسيس "دولة إسرائيل" مِن خلال عمليّة استيعاب المهاجرين ضِمن أفواج الهجرة الجماعيّة.
- أوضحَت الدِّراسة المحاوَلات التي كتبتها الكاتبة "راحيل ينائيت" خلال قِصّتها "بدو مِن أصل يهوديّ" لتعزيز ادّعاءاتها فيما يتعلّق بأصول القبائل التي تَسكن في البترا ووادي موسى، وذلك مِن خلال استشهادات غيْر موثّقة علميًّا لبعض الرّحالة والمستشرقين، وكذلك مِن خلال بعض الحوارات التي تَزعم أنّها دارت بيْن بعض أفراد هذه العشائر وبيْن زَوْجها.

المصادروالمراجع

بدوي، عبد الرحمن. (1993). موسوعة المستشرقين. الطّبعة الثالثة. بيروت: دار العلم للملايين

أبو دنه، فوزي. (2015). "الشّيخ حسين العلاوين (ابن نجاد) ودوره بتأمين الرّحلات إلى البترا، كتب الرّحلات مَصدرًا". المجلّة الأردنية للتّاريخ والآثار، المجلّد 9، العدد 2 (2015). عمادة البحث العلميّ، الجامعة الأردنيّة. ص 125 – 148

الرّوابدة، عبد الرؤوف. (2010). معجم العشائر الأردنيّة. الطّبعة الأولى، عمان: دار الشّروق للنّشر والتّوزيع

كنعان، سمير؛ وعامر الحافي؛ وإبراهيم أبوجاد؛ وسعيد أبو فرخ. (2004). العرب في مناهج التّعليم الإسرائيليّة. الطّبعة الأولى. عمان: مركز دراسات الشّرق الأوسط

العلوجي، عبد الكريم. (2010). الأحزاب الإسرائيليّة بين العلمانيّة والدّولة والدِّين. القاهرة: مكتبة جزيرة الورد

عمران صبيح، (1991). الهجرة اليهوديّة: حقائق وأرقام. عمان: دار الجليل

الفلاحات، هاني. (2021). وادي موسى... حاضنة البترا – ذاكرة المكان والإنسان. الطّبعة الأولى. عمان: دار الخليج للنّشر والتّوزيع

مرعي، عبد الرحمن. (2010). العربيّة والعبريّة في الماضي والحاضر– دراسة مقارنة في تطوُّر اللّغتين والتفاعل بينهما. باقة الغربيّة: مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، أكاديميّة القاسمي

سالم، نجلاء، رافت. (2002). الاستيطان ومشاكله في القصّة القصيرة عند إسحاق شنهار. رسالة دكتوراه غير منشورة. كليّة الآداب، جامعة القاهرة

وليم، فهيم. (1971). الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين المحتلّة. القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب

وهب الله. عبد الوهاب. (1982). الاستيطان اليهوديّ في الأدب الصهيونيّ. الطّبعة الأولى. القاهرة: دار الكلمة للنّشر

يوسف، يوسف. (2000). التّزوير في الأدب اليهوديّ. الطّبعة الأولى. دمشق: دار القلم.

References

Abu Danah, Fawzi. (2015). “Sheikh Hussein Al-Alawin (Ibn Injad) and His Role in escorting Travels to Petra, Travel Books as a Source”. **The Jordanian Journal of History and Archeology**, Vol. 9, No. 2 (2015). Deanship of Scientific Research, University of Jordan. Pp. 125-148.

Al-Elouji, Abdul Karim. (2010). **Israeli parties between secularism, state and religion.** Cairo: Roses Island Library.

Al-Falahat, Hani. (2021). **Wadi Musa... Petra Incubator - Memory of Place and Man**. First edition. Amman: Gulf House for Publishing and Distribution.

Almog, Shmuel. (1984). "The land for its workers and the conversion of the segments." In: Samuel Ettinger (ed.), **A Nation and Its History**. pp. 164- 175.

Almog, Shmuel. (2002). **The Jewish point**. Raanana: Sifriyat Po’alim.

Al-Rawabdeh, Abdul-Raouf. (2010). **A Dictionary of Jordanian Tribes**. First edition, Amman: Al-Shurooq Publishing and Distribution House

Badawi, Abdul Rahman. (1993). **Encyclopedia of Orientalists**. Third edition. Beirut: House of Science for the Millions

Barry, Eliezer. (1985). **The beginning of the Israel-Arab conflict: 1882-1911**. Raanana: Sifriyat Po’alim.

Belkind, Israel. (1969). **The Arabs who are in the Land of Israel**. Tel Aviv: Hermon Publishing.

Ben Gurion, David and Ben-Yitzhak, Zvi. (1980). **He and of Israel in the past and present**. Jerusalem: Yad Yitzhak Ben Zvi.

Ben Zion, Michaeli. (1992). **The first lady**. Tel Aviv: Milo.

Ben-Sasson, Haim Hillel. (1964). "The Battalions", in: Ben-Zion Dinur (ed.), **Sefer Toldot HaHagana**, Part Two, Tel Aviv: Am Oved Publishing.

Ben-Zvi, Rachel Yanait. (1962). **Coming Home**. Tel Aviv: Am Oved Publishing.

Ben-Zvi, Rachel Yanait. (1963). “Bedouins of Jewish Origin." Inside Yosef Arikha (ed.). **Hebrew stories from Arab life**. Tel Aviv: Am Ha-Sefer.

Ben-Zvi, Yitzhak, (1926). **The rest of the settlement: Articles and chapters in the annals of the Hebrew settlement in Israel and in the study of its homeland**. Tel Aviv: Davar.

Bin Matityahu, Yosef. (2002). **The antiquity of the Jews**. Volume I, Book Four. 10th ed. Jerusalem: Bilik Institution.

Chazan, Maor. (2012). "Barren fighting: the women's struggle to enlist in the 'Hebrew Battalion' in 1918." **Studies in the Restoration of Israel**. Volume 22 (2012). Pp. 423 – 458.

Conder, C. R. (1879). **Tent work in Palestine, in two volumes**. London: Bentley. Retrieved from:

https://archive.org/details/tentworkinpalest02conduoft/page/n11/mode/2up?view=theater&q=Safed

Eilat, Eliyahu. (1999). "Claude Rainier Conder". **Eretz Israel: A selection of articles.** January 1999, Jerusalem: Ariel Publishing, pp. 366-389.

Imran, Sobeih, (1991). **The Jewish Immigration: Facts and Figures**. Amman: Dar Al-Jaleel.

Kana'an, Samir; And Amer Al Hafi And Ibrahim Abu Gad; And Saeed Abu Farkh. (2004). **Arabs in the Israeli educational curriculum**. First edition. Amman: Center for Middle Eastern Studies.

Kark, Ruth. (2004). "Not a Suffragist, Rachel Yanait Ben-Zvi on Women and Gender". **Nashim**. 7 (2004), pp. 128 – 150.

Kark, Ruth. (2009). "Rahel Yanait Ben-Zvi." **Jewish Women: A Comprehensive Historical Encyclopedia**. 27 February 2009. Jewish Women's Archive. (Viewed on March 9, 2021), Retrieved from: <https://jwa.org/encyclopedia/article/ben-zvi-rahel-yanait>

Kressel, Getzel. (2007). "Ben-Zvi, Rahel Yanait", in: **Encyclopedia Judaica**, 2nd Edition, Detroit, vol. 3, p. 395.

Malchi, Yuval. (2020). "Rachel Yanait Ben-Zvi", the program "History for children", Kan Chinnuchiet, 5/11/2020 https://www.kankids.org.il/podcast/item.aspx?pid=18973

Marei, Abdul Rahman. (2010). Arabic and Hebrew in the Past and the Present - A comparative study of the development of the two languages and the interaction between them. Ba`a El-gharbiah: Al Qasimi Academy of Arabic Language and Literature.

Misini, Zvi. (2006). It is incredible that the problem of the Land of Israel, its roots and solution will be told. Netanya: Laya'ad.

Misini, Zvi. (2010). The engagement - the problem of the Land of Israel, its roots and its solution. Ed. 18. Netanya: Laya'ad.

Salem, Najla'a, Rafat. (2002). Settlement and its Problems in the Short Story by Yitzhak Shenhar. Unpublished PhD thesis. Faculty of Arts, Cairo University.

Sheilu, Margalit. (1997). "Rachel Yanait Ben-Zvi, Biography", in: Ze'ev Tzachor (ed.). The Second Aliyah: Personalities. Jerusalem: Yad Yitzhak Ben-Zvi Publishing, pp. 91-100.

Sheilu, Margalit. (2013). "Pioneer and First Lady - Rachel Yanait and Her Feminine Perception", Et-Mol 228. April 2013, pp. 12-15.

Wahb Allah, AbdulWahab. (1982). Jewish settlement in Zionist literature. First edition. Cairo: Dar Al Kalima Publishing.

William, Fahim. (1971). Jewish immigration to occupied Palestine. Cairo: Egyptian General Book Authority.

Yarden, Ayalon. (2010). The Israeli connection is an alternative to the Oslo route. Netanya: Laya'ad.

Youssef, Youssef. (2000). Forgery in Jewish literature. First edition. Damascus: Dar Al-Qalam.

المصادر والمراجع العبريّة

אילת, אליהו. (1999). "קלוד רייניר קונדר". ארץ ישראל: מבחר מאמרים. ינואר 1999, ירושלים: הוצאת ספרים אריאל, עמ' 366 – 389.

אלמוג, שמואל. (1984). "האדמה לעובדיה וגיור הפלחים". בתוך: שמואל אטינגר (עורך), אומה ותולדותיה, ב. עמ' 164- 175.

אלמוג, שמואל. (2002). הנקודה היהודית. רעננה: ספריית פועלים.

בארי, אליעזר. (1985). ראשית הסכסוך ישראל-ערב: 1882-1911. רעננה: ספריית פועלים.

בלקינד, ישראל. (1969). הערבים אשר בארץ ישראל. תל-אביב: הוצאת חרמון.

בן גוריון, דוד ובן-יצחק, צבי. (1980). ארץ ישראל בעבר ובהווה, ירושלים: יד יצחק בן צבי.

בן מתתיהו, יוסף. (2002). קדמוניות היהודים. כרך א', ספר רביעי. מהד' 10. ירושלים: מוסד ביליק.

בן-צבי, יצחק, (1926). שאר ישוב: מאמרים ופרקים בדברי ימי הישוב העברי בא"י ובחקר מולדתה. תל-אביב: הוצאת דבר.

בן-צבי, יצחק, (1932). אוכלוסי ארצנו, חלק ב' מהספר "אוכלוסינו בארץ". ורשה: הוועד הפועל של ברית הנוער ומרכז החלוץ העולמי בהשתתפות הלשכה הראשית של הקרן הקיימת לישראל.

בן-צבי, רחל ינאית. (1962). אנו עולים. תל-אביב: ספרייה לעם הוצאת עם עובד, 1962.

בן-צבי, רחל ינאית. (1963). "בדווים ממוצא יהודי". בתוך יוסף אריכא (עורך). סיפורים עבריים מחיי הערבים. תל-אביב: הוצאת עם הספר.

בן ציון, מיכאלי. (1992). הגברת הראשונה. תל-אביב: מילוא.

בן-ששון, חיים הלל. (1964). "הגדודים", בתוך: בן-ציון דינור (עורך), ספר תולדות ההגנה, חלק שני, תל-אביב: הוצאת עם עובד.
חזן, מאור. (2012). "לחימה עקרה: מאבק הנשים להתגייס ל'גדוד העברי' ב-1918". עיונים בתקומת ישראל. כרך 22 (2012). עמ' 423 – 458.
ירדן, אילון. (2010). ההתחברות הישראלית חלופה לדרך אוסלו. נתניה: הוצאת ליעד.
מלחי, יובל. (2020). "רחל ינאית בן-צבי", התוכנית "היסטוריה לילדים", כאן חינוכית, 5/11/2020. https://www.kankids.org.il/podcast/item.aspx?pid=18973
מסיני, צבי. (2006). יאמן כי יסופר בעיית ארץ ישראל, שורשיה ופתרונה. נתניה: הוצאת ליעד.
---. (2010). ההתחברות - בעיית ארץ ישראל, שורשיה ופתרונה. מהדורה 18. נתניה: הוצאת ליעד.
שילה, מרגלית. (1997). "רחל ינאית בן-צבי, ביוגרפיה", בתוך: זאב צחור (עורך). העלייה השנייה: אישים, ג'. ירושלים: הוצאת יד יצחק בן-צבי, עמ' 100-91.
---. (2013). "חלוצה וגברת ראשונה – רחל ינאית ותפיסתה הנשית", עת-מול 228. אפריל 2013, עמ' 15-12.